الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران(2)

كلية العلوم الإجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

أطروحة تخرج لنيل شهادة ماستر فلسفة موسومة بـــ:

فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا

إعداد الطالبة :

بودية إيمان .

تحت اشراف:

أ. أولعربي صادق

أعضاء اللجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
أ. بوكردلة زواوي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ. بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا
أ. أولعربي الصادق	أستاذ مساعد (أ)	مشرفا

السنة الجامعية: 2022/2021.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

أتوجه بالحمد لله سبحانه وتعالى، الذي أعانني على انجاز هذه المذكرة

فله الحمد والشكر الذي وفقني لهذا.

كما أتقدم في هذا المقام بعظيم و جزيل شكري و تقديري إلى أساتذتي الكرام وبالأخص الأستاذ المشرف **"صادق أولعربي"**

و جزاهم الله عني خير الجزاء.

وأرجو من الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

إهداء

كما أتقدم بإهداء هذا العمل المتواضع إلى من أنارت لي الطريق،
وكانت لي دوما خير سند و مصدر قوتي، وطاقتي و قرة عين والدتي_
أمي الغالية أطال الله في عمرها.
إلى أخي و أختي حفظهم الله
إلى صديقتي التي رافقتني في مشواري الدراسي بحلوها و مرها رخلة
سعاد و جميع زميلاتي.
إلى حبيبتي و نور عيني اكرام هاجر.
إلى كل من شجعني و ساندني في هذه الفترة الصعبة.
إلى الذين كانوا خير دعم لي الأساتذة الكرام أطال الله في عمرهم،
كونهم مدرسة تستحق الشكر.
و في الأخير أتقدم بإهداء لكم هذا العمل والجهد المتواضع.

بودية ايمان

مقدمة

إن الاهتمام بفلسفة الجمال والدراسات الجمالية شكل محورا رئيسيا من محاور التفكير الإنساني، باعتبار الفن والإبداع الفني ظاهرة اجتماعية للحضارة، ومؤشرا هاما لرقيها. إن هذه الصلة بين الإنسان والجمال قد دفعت الكثير من الفلاسفة إلى الاهتمام بالجمال فالفلسفة تناولت الجمال كإشكالية بآراء ومواقف متباينة سواء إن تعلق الأمر بعملية الجمال أو طبيعة الحكم الجمالي.

فقد كان موضوع الجمال يثير تساؤل الإنسان منذ القديم، فحكمنا على شيء معين بأنه جميل فهو يثير في الفلسفة مشكلة من اكبر المشكلات، فتناقش الفلاسفة حول معنى الجمال، إن هذا يشير إلى اختلافهم حول مصدره وطبيعته وموضوعه، فمنهم من يعتبره نورا أو نوعا من الإلهام، أو انه تعبير عن المثالي، أو رمز للكمال الإلهي.

إن علاقة الإنسان بالجمال والإبداع في الأعمال الفنية، كان ذلك قبل أن يكون للجمال علم، وللفن فلسفة تساهم في تطوير العلاقة التي بين الإنسان والقيمة الجمالية بالواقع. حيث يعتبر الإحساس بالجمال مسألة فطرية متجذرة في أعماق النفس البشرية والنفس البشرية تميل إلى الجمال، وتنفر من القبح. وتقديره الموجود في الطبيعة البشرية دفعت الكثير من الباحثين إلى محاولة المعرفة سر امتلاك الإنسان للحس الجمالي والإبداع الفني، حتى أصبح هذا السر مشكلة عويصة يصعب حلها، وإن طرحنا لفكرة الجمال هي أن نبدأ بالبحث عن الكيفية التي نحس بها الجمال، فالإحساس بالجمال يأتي من الأهمية في إدراك الشيء الجميل، وهذا يقودنا إلى الفلسفة الجمالية لـ "جورج سانتيانا" وذلك لما تركه من بحوث فلسفية في غاية الأهمية لهذا المجال.

إشكالية البحث : من المعروف أن للجمال قيمة كبيرة في حياتنا، والإحساس بالجمال له دور كبير في الحياة. وبذلك يصبح للجمال قيمة كبيرة تكمن وراء الأشياء الموجودة في الطبيعة، وفيها نتيجة الإنسان وحتى يتم إدراك ذلك لابد أن يدرك معنى الإحساس بالجمال ومعنى الحكم الجمالي.

لقد حاول سانتيانا الإجابة عن كثير من المسائل والإشكاليات الجمالية، وذلك بما يتمتع به من حس مرهف، وذوق رفيع، وتفكير نقدي, ونزعة أدبية. ومن أهمها إشكالية طبيعة الإحساس الجمالي. فكيف يتولد لنا الإحساس بالجمال؟ و ما هي طبيعة الإحساس الجمالي؟

تتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية، تمثلت في: ما مفهوم الجمال في فلسفة "جورج سانتيانا"؟ ما دور الإحساس في العملية الجمالية ؟ وهل يمكن أن نتخيل جمالا بدون عملية الإحساس؟ وما قيمة فلسفة الجمال لـ "جورج سانتيانا"؟

أما حول المنهج الذي قامت عليه هذه الدراسة، فقد اتبعت المنهج الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع المطروح، والذي يتمثل في "المنهج التحليلي" و"المنهج النقدي"، وذلك بدراسة فلسفة "سانتيانا" الجمالية و البحث في أصل نشأتها وأسسها. من خلال التعمق في مشكلاتها، وهذا فتح العديد من الأبواب لنقد بعض أفكارها وتبيان مواطن الصواب والخطأ فيها .

ولا يفوتني أن أذكر مجموعة من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، والتي تتمثل ف ما يلي:

- جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال، تر: زكي نجيب محمود.
- ومن أهم المراجع التي اعتمدتها نذكر:
- زكريا إبراهيم : فلسفة الفن في فكر المعاصر.
- أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال.

وعلى ضوء إشكالية البحث وبالاستناد إلى المصادر والمراجع المتوفرة اتبعت خطة متكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

فالمقدمة: حاولت فيها أن أمهد للموضوع والمشكلة التي يعالجها، إضافة إلى بعض المصادر والمراجع المعتمدة وأبرز دوافع البحث ،والصعوبات التي واجهتني.

أما الفصل الأول: فعرضنا فيه المرجعية الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا الجمالية وللوقوف على ذلك أدرجنا ضمن الفصل ثلاثة مباحث ترتبط بضبط مفهوم الجمال من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وكذلك درسنا مصادر فلسفته الجمالية، والتي ترتكز إلى أربعة مصادر رئيسية هي: مفهوم المادة عند ديمقريطس، ،ونظرية المثل الأفلاطونية، ومفهوم اللذة و الألم عند ابيقور، ومفهوم اللعب عند شيللر. أما المبحث الثالث فتطرقنا إلى مفهوم العقل و الحدس و دورهما في العملية الجمالية.

أما الفصل الثاني: فقد كان عنوانه فلسفة الجمال عند"جورج سانتيانا". ويتضمن ثلاث مباحث. حيث تناولت في المبحث الأول: السيرة الذاتية للفيلسوف "جورج سانتيانا"

وفلسفته العامة. أما المبحث الثاني: فتطرقنا إلى معنى الجمال و طبيعته عند جورج سانتيانا، فبحثنا في معنى الجمال عند سانتيانا، ثم عرضنا طبيعة العلاقة بين القيم الجمالية والأخلاقية، ومن ثم طبيعة الإحساس الجمالي عند "جورج سانتيانا"، والعلاقة بين الجميل وإحساسنا به. أما المبحث الثالث: فقد ارتبط بأثر نظرية الجمال لـ "جورج سانتيانا" على الفلاسفة اللاحقين. ثم تطرقنا إلي قيمة فلسفة الجمال لـ "جورج سانتيانا".

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم الأسباب التي جعلتني أحاول دراسة علم الجمال هو ما آلت إليه مكانته في وقتنا الحالي حيث تحول إلى مجال مفتوح يخوض فيه الخائضين الباحثين عن الربح السريع ،فتدنت مكانته التي كان من المفروض أن تتطور وترقى وليس هذا فقط بل حتى ما نلاحظه في عصرنا الحالي في ظل هذا الزخم الإعلامي وظهور الانترنيت أو ما يعرف بالفن الرقمي.

أ/ دوافع ذاتية: وتمثلت في تأثري بهذا الفيلسوف، وحب البحث في فلسفته والتعمق فيها. أما السبب الأساسي الذي جعل اختياري ينصب على دراسة الجمال عند جورج سانتيانا هو إحساسه الجمالي الذي افرد لها كتاب اسماه الإحساس بالجمال ليرسم به رؤية روحية وحسية للجمال، وبذلك يكون محطة تستوقف كل باحث في علم الجمال.

ب/ دوافع الموضوعية: فتمثلت في الاطلاع على الفلسفة المعاصرة عموما، وفلسفة "جورج سانتيانا" خصوصا، أما عن اختيار "سانتيانا" موضوع لدراسة ذلك راجع لأهميته في الإسهام في مجالات فكرية عديدة.

الدراسات السابقة:

أما فيما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع، فالدراسات الفلسفية كانت شاملة لعلم الجمال، لكن الدراسات التي ترتبط بالفيلسوف "جورج سانتيانا" فكانت جد منحصرة وقليلة .

إلا أن في مجال فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا وجدت رسالة للطالب إبراهيم سليمان الحسن: فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا (رسالة مقدمة لنيل شهادة درجة الماجستير في الفلسفة).

ومن بين الصعوبات التي واجهتني خلال مسيرة هذا البحث هي:

- نقص في المراجع المترجمة إلى اللغة العربية، لأن معظم مصادره باللغة الأجنبية (الإنجليزية).
- نقص في الدراسات التي تخص الفيلسوف "جورج سانتيانا".

لكن هذه الصعوبات لا تبرر العجز، بل تعد بمثابة الحافز والدافع إلى الاجتهاد في البحث و الله هو الموفق.

الفصل الأول :

المرجعية الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا الجمالية.

- **المبحث الأول: تعريف علم الجمال.**
- **المبحث الثاني: المصادر الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا.**
- **المبحث الثالث : العلاقة بين الحدس والعقل.**

المبحث الأول: تعريف علم الجمال.

I. التعريف بعلم الجمال :

إن علم الجمال أو علم الاستطيقا، علم حديث النشأة انبثق بعد تاريخ طويل عتيق من الفكر الفلسفي التأملي حول الفن والجمال، وبهذا المعنى يعد علم الجمال علما قديما و حديثا في وقت واحد.

لم تستقل فلسفة الجمال وتصبح فرعا من فروع الفلسفة إلا في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، وقد وضح ذلك الفيلسوف الألماني "بومجارتن". عندما عرف هذا الفرع باسم «الاستطيقا» وحدد موضوعه في تلك الدراسات التي تدور حول منطق الشعور والخيال الفني و هو منطق يختلف كل الاختلاف عن منطق العلم و التفكير العقلي.[1]

إن لفظ الاستطيقا يعود تاريخيا إلى عهد اليونان، عندما قصد به "العلم المتعلق بالإحساسات"، طبقا للفظ اليوناني "استيزس"،ومجاله البحث في الأشياء الموصوفة بالجمال وتكوين المعايير والأسس التي تساعد على التقدير الجمالي .[2]

ولعل من أهم التعريفات التي ظهرت في علم الجمال تعريف "هربرت ريد" الذي يستند على أساس مادي حسي مفاده:" أن الجمال وحدة للعلاقات الشكلية بين الأشياء

[1] حلمي مطر، اميرة :مدخل إلى علم الجمال والفن، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، ص11.

[2] حسام زكا رنة ، هديل:مدخل في علم الجمال ،المهد الدبلوماسي الأردني ،الأردن ،د ط 1993، ص8.

التي تدركها حواسنا وقد أكد "ريد" على أن الإحساس بالجمال يتسم بالتقلب عبر الزمان والمكان، فما هو جميل في زمان قد يرى قبيحا في زمن أخر.

وإذا تساءلنا: ما الجمال؟ فإن تاريخ الفكر يعرض اتجاهين، أولهما الاتجاه الذي يرى الجمال عبارة عن فكرة، وثانيهما الاتجاه الذي يرى أن الجمال ليس شيئا في ذاته وله طابعا عينيا واقعيا، ويمثل هذا الاتجاه "هيغل" الذي يرى أن الجمال نمط معين لتمثيل الحقيقة و إظهارها في طابع حسي .[1]

أثار الجمال عبر تاريخ البشرية حيرة المفكرين والفلاسفة، والأدباء، والفنانين، وعلماء النفس، حيث تعددت تفسيراته بتعدد المنطلقات الفلسفية و النقدية و الإبداعية .

وما يمكن استنتاجه هو أن الجمال ليس شيئا واحد، فقد يكون ماديا أو معنويا، أو انه غير موجود على ارض الواقع، فالجمال معانيه كثيرة، حيث كان السؤال السائد لدى جميع النظريات الجمالية منذ الإغريق هو: ما الجمال؟ وفقا للسوفسطائيون مثلا يرون انه لا يوجد جميل بطبعه، بل يتوقف الأمر على الظروف وأهواء الناس، وقال "الفيثاغوريون" إن الجمال يقوم على النظام و التماثل السيمترية و على الانسجام.

أي أن الجمال لدى "السوفسطائيون" متوقف على الظروف وأهواء الناس وأرائهم التي تحدد الجميل. أما "الفيثاغوريين" فالجمال عندهم محكوم بالنظام والانسجام، فكل ما كان كذلك فهو جميل.

[1] هويسمان, دنيس : علم الجمال (الاستطيقا), تر اميرة حلمي مطر, مر احمد فؤاد الاهواني ,المركز القومي للترجمة,القاهرة ,دط , 2015.ص9.

وأشار الفيلسوف "ديمقريطس"(460- 370) أن الجمال هو المتوازن أو المعتدل وأخضع الجمال للأخلاق. بالتالي فإن الجمال عند "ديمقريطس" خاضع للأخلاق، أي انه لا يتجاوز حدود الأخلاق. ولقد ربط "سقراط" الجمال بالخير ربطا تاما كذلك بالنافع أو المقيد.

وبذلك يمكن القول أن علم الجمال يهتم بقوانين الفن و قوانين الجمال، و النقد الفني وهو يتطلب عملا فنيا قام به الإنسان، وقد انعكست فيه الحساسية الشعورية إلى جانب المعرفة العلمية، وبالتالي يمكننا أن نرد علم الجمال إلى كونه الحساسية او كل تفكير فلسفي في الفن.

وندرك من خلال هذا التفكير أن فكرة الجمال متغيرة عند الفلاسفة، وذلك وفقا لمناهجهم الفكرية. التي تعطي لكل شخص مفهوما مختلفا مع ظروف كثيرة تحيط بالإنسان .

ومما تقدم نجد أن مذهب "ديمقريطس" يمثل مذهب مادي متناسق، ويعتبر المذهب الوحيد من حيث أنه يرد كل شيء إلى الذرات المادي، باعتبارها الأساس الوحيد الذي يتكون منه كل شيء، كما أن أفكار "ديمقريطس" المادية، ساهمت بصياغة بعض أفكار "سانتيانا" المادية .

II. مفهوم علم الجمال :

1/ التعريف اللغوي لعلم الجمال :

يعرف علم الجمال بالفرنسية Esthétique، وبالانجليزية Aesthetics ، إن أصل الكلمة يوناني، وكان يقصد بها " العلم المتعلق بالإحساسات" ، طبقا للفظAesthes، وقد وقع تحت عبارة Logic ، أي " علم ما هو بيِّن أو منطقي". كما يمكن وصفه تحت عبارة Aisthétos أي ما هو محسوس.

2/ التعريف الاصطلاحي لعلم الجمال:

علم الجمال هو "علم الإحكام التقويمية"، التي تميز بين الجميل والقبيح، وهذا هو التعريف الكلاسيكي. وعلم الجمال بوصفه علما مهمته هي تقرير قوانين النشاط الجمالي و أشكاله المختلفة و أحوال تطورها، وكيفيات تحقيقها ومنظورات تطورها.

3/ التعريف الفلسفي لعلم الجمال : إذا بحثنا في تاريخ الفلسفة عن تعريف الجمال فإننا نلاحظ أن كل فيلسوف له تعريفه الخاص، وذلك على حسب مذهبه الفكري، وخلفيته المعرفية، ونظامه الفلسفي.

"**سقراط**" **SOCRATE (470-399ق.م)** الذي يربط مفهوم الجمال بمبدأ الغائية بمعنى أن لكل شيء غاية يسعى إلى بلوغها، ولكن هذه الغاية يجب أن تكون غاية موجهة نحو الخير والقيم الأخلاقية العليا، واعتبر "**أفلاطون**" **PLATON (427-348ق.م)** . الجمال الحقيقي هو جمال المثل، جمال الخير، جمال الحق. كما نجد "**أرسطو**" **ARISTOTE(384-322ق.م)**. الذي رأى أن الجمال فيما يتصف به الشيء من

تناسب وتماثل والترتيب العضوي لأجزائه، لهذا فإن الجمال عند "أرسطو هو الجمال الموضوعي الذي يتناغم مع البيئة الحسية ومشاكلها، إن الجمال هو الذي يرتفع من الماديات إلى الماهيات، أو من المحسوسات إلى المعقولات، أما في "العصر الوسيط"، فقد ارتبط مفهوم الجمال بالأمور الروحانية، فالجمال عند" **القديس أوغسطين**" **SAINT AUGUSTIN (354-430م).** هو التجلي الرمزي للإلوهية، ورأى "**توما الاكويني**" **THOMAS AQUIN(1226-1274م).** بأن الله هو الجمال الأعلى ومصدر الجمال في الطبيعة والفن، كما حدد شروط الجميل بالكمال والتناسب و الوضوح.

كذلك في العصر الحديث يربط "**ادموند بوركه**" بين ما هو جميل وما هو سار،ويميز بين الجميل والجليل، أما الجمال عند "**غوتفرايد ويلهالم ليبنيز**" **GOTTFRIED WILHELM LEIBNIZ (1646-1716)** هو وجوده في الانسجام وهو كمال المعرفة الحسية.

أما الجمال في نظر الفيلسوف الألماني "**ايمانويل كانط**" **EMMANUEL KANT (1724-1804).** هو ذلك الذي يكون ممتعا بالضرورة، وهذه المتعة تتبع من أنفسنا دون هدف أو منفعة شخصية. ولقد قسم الجمال إلى نوعين:

1/ الجمال المقيد، وهو يفترض ما ينبغي ان يكون عليه كجمال الجسد أو جمال المبنى.

2/ الجمال الحر، وهو لا يفترض مسبقا ما ينبغي أن يكون عليه كالزخارف والموسيقى[1].

[1] عبده مصطفى :مدخل إلى فلسفة الجمال النشر مكتبة مدولي القاهرة د(ط س) ص64.

أما في نظر الفيلسوف الألماني "**فريدريك هيجل**"**FRÈDÈRIC HEGEL (1770-1830)**. أن الجمال هو التجلي الحسي للفكرة، أي انه نمط معين لتمثيل الحقيقة و إظهارها في طابع حسي.

ويرى الفيلسوف الألماني،"**آرثر شوبنهاور**" **ARTHUR SCHOPENHAUER (1788-1860)** أن الجمال، هو صفة للشيء يرضي فينا حاجة غامضة تكمن في طبيعتنا البشرية، وذلك بصرف النظر عن فائدته أو منفعته، وان شعور الإنسان بالجمال اسمى وأرقى ما تحظى به النفس.

الجمال في نظر الفيلسوف الألماني "الكسندر بومجارتن" هو:" كمال المعرفة الحسي وهو نظام بين الأجزاء في علاقتهما المتبادلة، وفي علاقة كل جزء منها بالكل، وتحدث عن النور الجمالي الذي يجعل العمل الفني حيا زاهيا".[1]

ولقد عرف "جورج سانتيانا" الجمال بقوله أن: "الجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجودا موضوعيا، أو في لغة اقل تخصصا الجمال هو لذة تعتبرها صفة في الشيء ذاته".[2] ويفسر لنا "سانتيانا" من هذا المقصود بأنه هو تلخيص مجموعة مختلفة من مواضع الشبه والاختلاف. باعتبار الجمال قيمة، أي أنه ليس إدراكا

[1] بلبشير حورية. إشكالية الجمال في فلسفة جورج سانتيانا. إشراف : ملاح أحمد. ماجستير. قسم الفلسفة. جامعة وهران(2). 2018. ص19.

[2] سانتيانا جورج. الإحساس بالجمال. تر: محمد مصطفى بدوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة. 2002. ص92.

لحقيقة واقعة أو لعلاقة، وإنما هو انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية، فالموضوع لا يكون جميلا إذا لم يولد اللذة في نفس احد".[1]

وهنا نجد "سانتيانا" يعرف الجمال بالاستناد إلى تصوره للذة التي تصاحب الخبرة الجمالية، هذه الخبرة ليست مجرد خبرة حسية، لأنه يصاحبها حكم نقدي. وبالتالي فنحن لا نفضل الأشياء لأنها ذات قيمة بل تصبح الأشياء ذات قيمة لأننا نفضلها و نرغب بها.

إضافة إلى ذلك يرى "سانتيانا" أن اللذة الجمالية يجب أن تكون ذاتية، بمعنى أن قيمته في ذاته. فلا ينبغي أن تكون نتيجة للمنفعة التي يجلبها الموضوع، أو الحدث فالجمال خير مطلق، أي انه يرضي وظيفة طبيعية أو ملكة جوهرية في العقل البشري.

وهذان الشرطان الإيجابية والذاتية، هما:" اللذان يفصلان مجال الجمال عن مجال الأخلاق الفصل الكافي، فالقيم الجمالية عادة سلبية، لأن وظيفة الأخلاق تتعلق بتجنب الشر والسعي وراء الخير، بينما تتعلق وظيفة الجمال بالمتعة".[2]

وأخيرا، قد ميز "سانتيانا" بين لذات الحس وإدراك الجمال، وبين أن الإدراك الجمالي يتميز في:" كون العناصر التي يتألف منها إدراك الجمال تتحول إلى موضوعات ذات وجود خارجي، بحيث تبدو كأنها صفات في الأشياء أكثر من كونها صفات في الوعي".[3] وبذلك يبين لنا "سانتيانا" أنه لا وجود لحد فاصل بين إدراك الجمال وإدراك اللذات الأخرى، إنما هو مجرد درجة تحويل إحساسي إلى موضوع . فاللذة الجمالية وإن كانت

[1] سانتيانا جورج. الإحساس بالجمال.ص96

1 ابراهيم سليمان الحسن فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا(م س)، ص61.

[3] سانتيانا جورج: الإحساس بالجمال ، ص94.

حالة في الإنسان، إلا أنها توجه إدراكنا إلى شيء خارجي، بحيث تتوهم أن هذه اللذة هي صفة في الأشياء الخارجية، وكلما كانت:" اللذة معقدة ووثيقة الارتباط، كلما بدت لنا أكثر موضوعية، فكما أن الصدق هو تضافر الادراكات فيما بينها، فان الجمال هو أيضا تضافر اللذات. فلو وضعنا العطر في زجاجة قلما نقول عن الرائحة المنبعثة منها أنها جميلة، إلا أننا نقول عن الرائحة الزكية المنبثقة من إحدى الزهور أنها رائحة جميلة. لأنها في هذه الحالة تزيد من ذلك السحر المحسوس الماثل فيما حولها من الموضوعات فتزيدها جمالا على جمال".[1]

ونستطيع أن نلخص رأي "سانتيانا" في معنى الجمال في عدة نقاط :

1/ أن الجمال قيمة، وليس إدراكا لواقع معين، ونعني بالقيمة، أنه تفضيل من قبل الذات وميل وجداني نحو شيء بعينه .

2/ أن الجمال إحساس إيجابي، أي أنه ينصب على الشيء الحسن الماثل أمام الشخص المدرك، وهو بذلك يختلف عن الحكم الأخلاقي الذي لا ينشا إلا عن طريق إدراكنا لجوانب النقص في الشيء لتنقيته و جعله خيرا .

3/ الإدراك الجمالي مباشر، فلا يراد به أن يكون وسيلة لمنفعة أجلة وإنما تكمن قيمته في ذاته.

[1] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. الماجستير. قسم الدراسات الفلسفية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الجمهورية العربية السورية. 2017. منشورة. ص62 .

4/ يتميز الإدراك الجمالي بأنه عملية يتم من خلالها إخراج النشوة والمتعة الذاتية، إخراجا يدمجها في عناصر الشيء المدرك كأنه جزء من طبيعته.

ننتهي مما سبق إلى أن "سانتيانا" يحدد الجمال بأنه قيمة إيجابية للأشياء، وان هذه القيمة نابعة من طبيعة الذات، ومتوجهة نحو الموضوع الخارجي، باعثة فينا شعورا بأنها تكمن في الشيء الخارجي لا في ذاتنا، ومادام الجمال قيمة إيجابية فكل شيء في اعتقاد "سانتيانا" جميلة لان كل شيء قادر على إثارة لذاتنا، وإن كانت تختلف درجة هذه الإثارة من شيء إلى أخر، ولما رفض "سانتيانا" أن يفسح المجال للقيم السلبية في علم الجمال فإنه قد استبعد بهذا فكرة القبح من دائرة الجمال، ذلك لأن إدراك الأشياء في الظروف الطبيعية هو دائما مصدر للذة أكثر منه للألم.

يوصف الألم على أساس موضوعه بالكلي أو الجزئي، إن:" المراد بالجزئي، أن يكون موضوعه أخص من موضوع العلم الذي يشمله، كعلم الاقتصاد بالنسبة إلى علم الاجتماع وكعلم الطب بالنسبة إلى العلم الطبيعي. وبهذا يتضح معنى المراد من العلم الكلي .

وعلم الجمال من العلوم الجزئية، لأن موضوعه خاص، وكثير من الفلاسفة تحدثوا عنه كباب من أبواب الفلسفة ومسائلها، وبعضهم وضع فيه كتبا خاصة.

وعلم الجمال قاعدي معياري، نسبة إلى المعيار والقاعدة حيث يقاس بقواعده الحكم على الإنتاج الفني و العلوم المعيارية ثلاثة: علم الجمال، علم المنطق، علم الأخلاق".[1]

[1] مغنية محمد جواد. مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات. دار الهلال. لبنان. د(ط.ت). ص35.

المبحث الثاني : المصادر الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا.

1/ مفهوم المادة عند ديمقريطس :

يرجع تاريخ الوعي الفلسفي بالمادة كعنصر مادي من عناصر الطبيعة، وكمذهب يعرف بالمادي يرد كل شيء إلى المادة، حيث يعتبر:" المادة أصلا ومبدأ أوليا، ويفسر به وجود الموجودات وتكوينها إلى اكثر من ألفين و خمسمائة عام على يد فلاسفة اليونان الأوائل ".[1]

وفي الفقرات التالية سنتطرق لعرض أهم أراء "ديمقريطس" المادية التي كان لها الأثر الكبير في تاريخ الفلسفة، وعلى الفلاسفة اللاحقين وخصوصا في صياغة أفكار وفلسفة "جورج سانتيانا" المادية. تبنى "ديمقريطس" مذهب "لوقيبوس" الذري وجعل منه مذهبا ماديا، حيث تتحدد الأجسام المكونة من مركبات الذرات عبر ما يعرف بالصفات الأولية مثل ملء الخلاء، الكثافة والصلابة والتراخي. في حين أن اللون والرائحة والطعم، وسواها من الصفات الثانوية الذاتية، هي صفات تضاف إلى الأجسام، ومن خلال الإدراك يتم الإدراك عبر صور صغيرة تطلقها الأشياء.

أما عن صفات وخواص هذه الذرات فيذهب "ديمقريطس" إلى أنها:" ذرات لا محدودة العدد، تتحرك حركة ذاتية في الفراغ، فتنتج عن حركتها سائر الأشياء والإحياء، بما في ذلك الإنسان، أما أساس الوظائف الحياتية فنوع خاص من الذرات المستديرة الملساء الدقيقة".[2]

---

[1] الحسن إبراهيم سليمان: فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا، ص14.

[2] الخطيب محمد: الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق ط.1 ،1999. ص124.

هذه الذرات التي لا تقبل القسمة تختلف بالشكل والترتيب والوضع، فلنأخذ المثال التالي للشكل "أ" و "ب". وسنجد أن لهما ترتيبين أو نظامين مختلفين هما (أ– ب)، (ب أ). وهذه الأوضاع المختلفة هي علة الفروق و الاختلاف.

وهكذا تكونت لدى "ديمقريطس" نظرية مادية في المعرفة تنسجم مع فهمه المادي للطبيعة فالإحساسات عنده هي:" مصدر المعرفة بل أساسها، حيث تنتقل بواسطتها الأشياء المادية التي تؤثر في الحواس، فتبدو كنسخ منقولة عن الأشياء ذاتها، تنفذ إلى الجسم من خلال أعضاء الحس الخارجية، وهي صور مادية أيضا تتحلل من تلك الأشياء، فإذا توافق حجم المسام و شكلها مع صور الأشياء التي تنفد من خلالها عكست الصورة الحسية للشيء بشكل صحيح، وهكذا تكون الصورة الحسية مصدر المعرفة".[1]

بالرغم من أن الإحساسات تعتبر مصدر ضروري للمعرفة، إلا أنها لا تكفي لتحصيل المعرفة، فهناك أشياء و خواص لا يمكن أن تدرك بالإحساس، إنما تدرك بالعقل والتفكير. فنحن لا نحس بالخلاء والذرات، بل ندرك حقيقة وجودها بواسطة العقل، إذا يوجد عند "ديمقريطس" نوعان من الوجود وجود باطن وهو الذرات و الخلاء. ووجود ظاهر هو الأشياء الناتجة عن الوجود الأول. وهذان النوعان يستدعيان نوعين من المعرفة عقلي يحيط الأول، وحسي يحيط بالوجود الثاني.

ومن الآراء المهمة الطريقة التي تنسب إلى المدرسة الذرية:" تمييزها بين الصفات الأولية والصفات الثانوية، فكل تلك الخصائص التي تميز العالم المدرك بالحس من لون

[1] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا ، ص130.

و طعم و هكذا، ليست صفات حقيقية وإنما هي صفات تبدو لنا بالحواس والحقيقة التي ورائها ليس لها لون ولا طعم، وانما نحن الذين نضيف اللون والطعم أثناء إدراكنا.إذا فالأشياء لها صفات أولية حقيقية موضوعية موجودة في الطبيعة، وإما الصفات الثانوية تتم عن طريق الحواس، فإن إدراكنا للحقيقة لا يتم إلا عن طريق العقل فنحن من نصف هذا الشيء بأنه حلو أو مر أو حار أو بارد".[1] فهذه الصفات الثانوية أشياء لا توجد بالخارج بل هي أمور ذاتية لإحساساتنا، أما الصفات الأولية كالصلابة والثقل فهي صفات حقيقية للمادة.

وإذا انتقلنا إلى أراء "ديمقريطس" الجمالية فهي تقترب من أراء "فيثاغورس" و"هيرقليطس"، فالجمال عند "ديمقريطس" يقوم على النظام والتناسق والتناسب بين الأجزاء، حيث يعد:" أول فيلسوف يوناني نظر إلى الجمال نظرة موضوعية مادية فالجمال يتمثل في انتظام أجزاء الأشياء المادية و تناسبها. وعلى هذا نستطيع أن نقول أن رأي "ديمقريطس" في الجمال على انه تناسب اعتباري متغير تحت ظروف شتى تابعة للصدفة الطبيعية المادية".[2]

ونستطيع الآن عرض أهم أفكار "سانتيانا" المادية التي ساهمت في بناء نظامه الفلسفي والتي أثرت في صياغة أفكاره الجمالية.

[1] قرني عزت: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون. جامعة الكويت. الكويت. 1993. ص77-78.

[2] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا، ص16.

قسم "سانتيانا" الوجود إلى أربعة عوالم، عالم الماهية، عالم المادة، عالم الحقيقة،عالم الروح، وكما انه خصص لكل عالم من هذه العوالم بمجال محدد و خواص معينة.

وفي تناوله لعالم المادة اعتبر "سانتيانا" أن:" المادة تمثل جوهر الوجود الذي نعيش فيه، وهي مبدأ الحياة والموت، ويذهب "سانتيانا" كما يذهب كذلك الكثير من الواقعيين إلى أن وعي الإنسان أو شعوره بالأشياء دليل على وجودها، فمعرفة الإنسان للشيء الذي يدركه صورة تمثل ذلك الشيء تمثيلا صحيحا، فعند إدراك الإنسان للون الأزرق كانت الزرقة صفة في الشيء لا إضافة أضافها الإنسان من عنده[1].

ويدافع سانتيانا عن المادة، لأنه اعتبرها العنصر الأساسي في الوجود، ويرد "سانتيانا" في كتابه "عوالم الوجود"، على المذاهب التي تنكر وجود المادة، حيث يقول رادا عليهم :" تواجه المادة أحجاما من معظم الناس على الرغم من أن معظمهم يقدرون الأشياء المادية، فيراها الفيلسوف الأخلاقي بأنها شر وهي سبب الصراع الدائر بين الأشياء، أما إذا نظر إليها نظرة أرحب و اشمل لتأكد من أنها مبدأ الوجود، وأصل جميع الأشياء في صورتها الطبيعية، والممكنة في حين أن الميتافيزيقيين يعترضون على المادة بكونها غير مجدية ولا تقع فيها كما يعتبرونها في بعض الأحيان غير موجودة أصلا".[2]

أما بالنسبة لصفات المادة، فانه يدلي برأيه في خصائصها العامة، فيقول:" إنها زمانية مكانية، وأنها ممتدة ومؤلفة من أجزاء، كل جزء منها منفصل عن زميله، وان تكن

[1] نجيب محمود زكي. حياة الفكر في العالم الجديد.(م.س). ص203.

[2] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س). ص17.

هذه الأجزاء علاقات تربطها بعضها ببعض، غير أن تلك العلاقات ليست جزءا من طبيعتها، بل هي علاقات تتغير، وذلك مساو لقولنا أن أجزاء المادة تتحرك ولا تستقر في مكان بعينه، وكلما تحركت تغيرت بالتالي مجموع العلاقات التي تصلها بعضها ببعض، بل قد تغير حركتها تلك من خصائصها الذاتية، وإذن فالمادة سيال متدفق دائم الحركة دائم التغير وتوزيع أجزائها على المكان والزمان ما ينفك يتغير فينشأ عن هذا التغير تكون الأجسام والحوادث، وما قد يتركب من الأجسام والحوادث من تركيبات مختلفة التكوين منوعة البناء.

نجد "سانتيانا" من خلال النص السابق يؤكد على أن المادة غير محدودة وبأنها أجزاء لا شكل لها، وان جوهر المادة لا يعتبر مادة بذاته، فهو شيء لا مادي و لا زماني لأنها شيء غير مدرك بطبيعتها.

ويفسر "سانتيانا" تكون الأجسام والحوادث، بالحركة المتدفقة الدائمة للمادة أي بحركتها دائمة التغير. كما استعار "سانتيانا" مفهوم الصفات الأولية والثانوية من "ديمقريطس" وطبقها على الماهيات وذكر بأن:" الماهيات الأولية هي التي ترد إلينا عن طريق الحدس وتتصف بالكلية والفردية، وتقوم بذاتها أي حاصلة على اكتفائها الذاتي، فضلا عن أنها مستقلة تستمد عناصر وجودها من داخلها لا من الخارج. أما الماهيات الثانوية فهي أضعف من الماهيات الأولية، ماهيات باهتة مجرد ظلال، ولا تستمد وجودها من داخلها بل من الخارج".

مما سبق يتضح لنا أهمية أفكار "سانتيانا" المادية، والتي استقى بعض عناصرها من الفلاسفة السابقين عليه، وعلى وجه الخصوص الفيلسوف "ديمقريطس"، وما أضافه إلى هذه الأفكار من خصوصية لكي تنسجم مع النسق السانتياني الفلسفي في الوجود سنلاحظ ذلك من خلال الفصول القادمة كيف تأثرت أفكاره الجمالية بنزعته المادية.

2/ نظرية المثل عند أفلاطون:

مع نظرية المثل استطاع "أفلاطون"، لا أن يخلق نظاما فلسفيا وحسب، إذ قام باستعادة فكرة "سقراط" في طرح الأسئلة وباستعادة أجزاء من الفلسفة أيضا، بل استطاع أيضا أن يضع بناءا فكريا ترك أثره على الفلسفة الغربية بشكل لم يتركه أي فيلسوف أخر في الفلسفة الغربية كلها لا تفهم إلا باعتبارها حواشي على "أفلاطون".

وكما ذكرنا سابقا بأن "سانتيانا" أراد ان يقضي حياته في حوار هادئ مع أعلام الماضي من ذوي الروح الفلسفية، وما كان من "سانتيانا" نتيجة لتأثره بالفلسفات القديمة إلا انه أقحم على نظريته الجمالية بعض العناصر الميتافيزيقية والأخلاقية والصوفية، كما أضاف الى نزعته الواقعية في فهم الجمال نزعة أفلاطونية مثالية، صدرت عن نظريته بالماهية.

إذ يعتبر "أفلاطون" من بين الفلاسفة القدماء الذين:" كان لهم الأثر الكبير في الفكر السانتياني، فقد أثارت فلسفة "أفلاطون" إعجابه فهي في نظره تجسيد للضمير وتعبير عن أعماق أمالنا، كما أنها تعبر عن غرائزنا الطبيعية تعبيرا جميلا، يدل على الحس المرهف ولهذا كان للفلاسفة "الأفلاطونيين" سلطان طبيعي باعتبارهم يقفون على قمة التجربة البشرية التي لا يستطيع العامة الوصول إليها".[1]

[1] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س). ص21.

إن فلسفة "أفلاطون" قائمة في أساسها على نظرية المثل ويقوم مضمون نظرية "أفلاطون" في المثل على فرضية وجود عالم ماهيات لا مادية أزلي ولا يخضع للتغير والمثل بالمعنى الأفلاطوني هي نماذج للواقع تبعا لها تتشكل الأشياء في العالم المرئي.

والحقيقة في نظر "أفلاطون" لا تدرك إلا بالعقل، و لذلك فإن ما تشاهده في عالم الوجود الحسي ليست الحقيقة دائما، بل هو شبيه الحقيقة أو ظل لها، أما الحقيقة فقائمة في عالم المثل، و هذه المثل ثابتة موجودة وجودا مفارقا ومستقلا عن الإنسان، وهي في الوقت نفسه مصدر المعرفة وموضوعها، كما أنها تمثل مصدر وجود الأشياء المحسوسة وعلتها، إذا يوجد عالمان لدى "أفلاطون" هما: "عالم معقول" و أخر "محسوس". فالعالم المعقول هو عالم المثل الأزلية الأبدية والخارج عن حدود الزمان والمكان، حيث أنكر "أفلاطون" أن تكون المثل مخلوقة سواء كان الخلق منذ الأزل، أم كان خلقا في زمان لأن ربطها بالزمان يعني خضوعها للتعبير والفساد، أما العالم المحسوس فهو عالم الأشياء الحسية الناقصة والمتغيرة. فالفلسفة الأفلاطونية فلسفة مثالية تفترض عالما مفارقا من عوالم الحواس، لأن عالم الحواس هو عالم الصيرورة و التعبير الدائم.

ونلاحظ أن نظرية المثل استطاعت أن تميز بين الموضوعات الجزئية التي تنتمي إلى نوع ما، وبين الألفاظ الكلية التي نطاقها عليها، فمثلا لا تشير لفظة إنسان إلى هذا الإنسان أو ذلك. إنما إلى معنى الإنسان بشكل مستقل عن أي إنسان بعينه، فهناك في نظر "أفلاطون" مثال للإنسان ثابت، لا يتغير ولا يتبدل موجود وجودا موضوعيا مستقلا

عن المادة. أما الإنسان في العالم الحسي فإنه يقترب من الكمال بمقدار شبهه من مثال الإنسان، فالمثال كامل و حقيقي في حين أن الموجودات ناقصة وظاهرية.

فالمثل تشكل بناءًا هرميًا، يتدرج في سلم ترتيب تصاعدي حيث يتدرج كل مثال تحت المثال الأعلى. فالحلاوة و المرارة يندرجان تحت مثال أعلى هو الطعم و هذا التدرج يبدأ من الجمال والحق، حتى يصل إلى الخير. الذي يتربع على قمة الهرم ومثلما أن الشمس بالنسبة للعالم المحسوس مصدر الحياة ووجود الأشياء الحسية، وقابليتها للمعرفة كذلك الخير هو مصدر النور، وجوهر الوجود والقبلة التي تتوق نحوها كل المثل.

والمثل بالمعنى الأفلاطوني هي نماذج للواقع تبعا لها تتشكل الأشياء في العالم المرئي. والمثل هذه موجودة عيانيا موضوعيا، أي أنها مستقلة عن معرفتنا لها أو عن عالم أفكارنا، فهي لا تخضع لمقتضيات وعينا بل هي تعرف بواسطته، ومن هنا يمكننا وصف موقف "أفلاطون" بالمثالية الموضوعية. فأن تتعرف إلى ماهيات منفردة كالفراشة والسمكة والحصان، رغم اختلافها بالشكل باعتبارها حيوانات فذلك يدفعنا إلى استنتاج وجود صورة أصيلة حيوان. وهي صورة مشتركة بين جميع الحيوانات و هي التي تحدد شكل ماهيته، وهكذا تكون فكرة الحيوان هي التي تجعل المخلوقات المختلفة عضويا حيوانات.

فقد رأى أفلاطون أن لكل شيء مثاله الأبدي الذي جاء الشيء على غراره، وانه يدنو من الكمال ويقربه من المثل، فإن أهم الأمور عند ""سانتيانا" هو إدراك كيفية تكوين المثل التي تحكم على الأشياء الجزئية بالقياس إليها، فـ"سانتيانا" يرفض ما ذهب إليه

"أفلاطون" من أن المثل أبدية وثابتة ولها حقيقة موضوعية مستقلة عن العقل، وتعتبر هذه النظرية الأفلاطونية مثالا بارزا يوضح لنا أحد الأخطاء والأوهام الشائعة في التفكير الجمالي، وهو اعتبار مضمون التجربة ومظهر من مظاهر علتها وحلال نتاج الملكة محل وصف وظيفتها، فالأنماط الأبدية وسيلة من وسائل الحياة الجمالية لكنها ليست أساس هذه الحياة، بل أنها نتاجا للطبيعة الإنسانية ورمز التجربة ووسيلة للتفكير[1].

وإذا كان "سانتيانا" قد تبنى نظرية المثل والأنماط إلا أنه يأخذ بموقف مغاير لموقف "أفلاطون" حيث يرى بأن هذه المثل والأنماط محددة المعالم ومتعددة ويستبعد احدها الأخر وهي ليست موجودة وجودا مفارقا، بل هي نتاج التجربة. فتصورنا للشيء الفردي هو عبارة عن مزيج من تجاربنا الجزئية المختلفة له، وعما يترسب في ذهننا من هذه التجارب، فكذلك تصورنا للمثال، والنوع هو مزيج من تصوراتنا للجزئيات وما يترسب من هذه التصورات، فعندما تشترك عدة أشياء مختلفة في كثير من الخصائص فإن العقل يعجز عندئذ عن الاحتفاظ بكل هذه الفروق والعلاقات التي لا بد لنا منها، فلو أردنا أن نتصور بالذهن تصورا خاصا لكل حبة رمل أو قطرة ماء أو لكل إنسان شاهدناه، فلابد لنا من تصنيف هذه الصفات الهائلة تحت نوع معين حتى يتسنى لنا معرفتها فلا بد لنا من تصنيف هذه الصفات الهائلة تحت نوع معين حتى يتسنى لنا معرفتها، فلا بد من أن يكون لدينا صورة ذهنية واحدة ومميزة تقابل كل انطباع حسي من انطباعاتنا الأصلية

[1] سانتيانا جورج:الإحساس بالجمال تخطيط النظرية في علم الجمال، تر:محمد مصطفى بدوي مر:زكي نجيب محمود ، مهر جان القراءة للجميع ، القاهرة، 2001 ، ص 141..

فإننا لا نحتفظ إلا بنتاج عام واحد لهذه الانطباعات جميعا وهذه العملية تشبه الصورة الفوتوغرافية المركبة من عدة صور، بحيث تغدو هذه الصورة الذهنية مفهوما للنوع الذي يندرج تحته كل الأمثلة الجزئية[1].

ولقد استخدم "سانتيانا" اسما جديدا للتعبير عن مثل "أفلاطون" فأطلق عليه اسم الماهيات، وتعد نظرية الماهية حجر الزاوية في فلسفة "سانتيانا"، والأساس الذي أقام عليه صرحه الفلسفي، والماهيات عند "سانتيانا" شأنها شأن المثل عند "أفلاطون"، ماهي إلا الصور الأصلية والنماذج الأزلية لكل الكائنات، ويذهب "سانتيانا" إلى أن كل واحد منا في وسعه أن يتعلم إدراك هذه المثل و التي تكون الأساس الذي تقوم عليه الأشياء.

ويصف "سانتيانا" الماهية بعدد من الصفات، منها أنها فكر صرف، وأنها أزلية وبسبب كونها فكرا صرفا فإنها غير موجودة وجودا فعليا، وإنما موجودة وجودا ضمنيا ويوضح "سانتيانا" فكرة الوجود الضمني بقوله: "وثمة سمة من الأسطورة الأفلاطونية تعلق بفكرة الماهيات، حتى يقال عنها أنها موجودة وجودا ضمنيا لا وجودا فعليا، والوجود الضمني معناه الديمومة الكامنة والبقاء المطرد في الزمن، لكن الأزلية وهي من السمات الذاتية لكل الماهيات، غير محدودة بزمن. لهذا فإن نفس الماهية قد تتكرر مرات كثيرة وحينما يحدث ذلك، أو حينما تتمثل لنا الماهية على نحو ما يفترض لقوانين الطبيعة أو الأخلاق في عالمنا فلنا أن نقول أن هذه الماهيات موجودة ضمنا لكننا لا نقول بذلك على أساس أبديتها التي يحدثها الزمن، بل على أساس ثبات مزعوم في الأشياء يحفظ

[1] سانتيانا جورج: الاحساس بالجمال ص 141.

للماهيات وظيفتها في الوقت الحاضر، فقواعد لعبة الشطرنج مثلا باقية ما بقي لاعبو الشطرنج على التزامها، فإذا هجرت لعبة الشطرنج وانصرف الناس عنها، فإن قواعدها تصبح مجرد قواعد ممكنة أو ماهيات، وكل ما بقى منها هو صدق القول بأنها كانت في يوم من الأيام قواعد مقررة يلتزم بها اللاعبون".[1]

ومن هنا يتضح لنا أن الوجود الضمني يعني بقاء القواعد وأزليتها ، والتي تتصل اتصالا أبديا بالوجود. لأن التغير لا يعني الفناء، وإنما يقيد التحول، كما انه لا يلغي الماهيات بل يقوم باستبدالها .

يرى "سانتيانا" بأن:" كل ما هو جميل إنما يحتوي على هذا الكمال الذي يستحيل تحديده و توصيله إلى الغير، والذي هو على حد قول الشاعر «يشبه النجم الذي يشع من بعيد حيث يقيم الخالدون. وإذا أردنا تعبيرا عن هذه التجربة فيلزمنا أن نذهب إلى الشعراء و كبار النقاد الملهمين و بالأخص إلى الأمثلة الخالدة التي يقصها أفلاطون".[2]

نجد "سانتيانا" يطرح أمامنا المثالية في جانبها الإيجابي والسلبي، فهي سعادة وشقاء لذة وألم، خيال وواقع، كمال ونقص، فشقاء الفنان وألمه نتاج عن إحساسه بضغط المثل ولو أن هذه الدنيا جاءت على غرارها إضافة إلى إحساسه بعدم صلاحيته للعيش في العالم الذي يولد فيه، أما سعادته ولذته فتكمن في انه استطاع العلو عن هذا العالم الناقص والارتقاء إلى عالم جميل أكمل فيه أوجه النقص الذي شاهده في الكائنات الواقعية

[1] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س). ص24.

[2] المرجع نفسه، ص 49.

وبما ان "سانتيانا" شاعر وفيلسوف جمال فإنه استخدم الخيال لكي يصل الى عالم الماهيات، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن عالم الماهيات، عالم مبهم فيه ممكنات غير واقعية لم تتحقق بعد عالم وهمي وخيالي، يسبح في سمائه الفنان ليهرب من نقص الواقع، ونستطيع أن نقول بأن عالم الماهية يتعلق بالفن والجمال، فطبيعة الماهية كما يعتقد "سانتيانا" لا تتبدى على أحسن وجه اللهم إلا في الجميل.

وإذا قارنا بين مثال الجمال عند كل من "أفلاطون" و"سانتيانا" لوجدنا أن "أفلاطون" بحث عنه في عالم أخر مفارق لنا في حين أن "سانتيانا" بحث عنه في هذا العالم الأرضي، فإدراك "أفلاطون" لمثال الجمال هو إدراك مثالي عقلي سماوي، أما إدراك "سانتيانا" فهو إدراك مثالي عقلي ارضي، نسجه من خيوط التجربة والخبرة الحية المباشرة".[1]

3/ مفهوم اللذة والألم عند ابيقور:

لقد ذهبت بعض النظريات إلى أن معيار القيمة يكمن في اللذة أو المتعة، فلكي تقول أن شيئا ما يعتبر ذات قيمة جمالية أو أخلاقية فإنه يجب أن يكون موضوع لذة، أو يجلب المتعة. بمعنى أن الخبرة التي لا تكون سارة لا تمثل أية قيمة، فمصدر القيمة هي اللذة الناتجة عن الفعل .

[1] صليبا جميل . المعجم الفلسفي. (م.س). ص451.

فالفن ارتبط منذ القدم بفكرة اللذة و السرور فقيل بان هدف كل أنواع الفنون هو أن يبعث في الإنسان شعورا باللذة ا وان يجلب له السرور،و ليس في هذا التحديد العام ذاته ما يثير إشكالا وإنما تثار الإشكالات إذا بصدد توضيح المقصود باللذة بمعنى سلبي فتكون حالة يتقبل فيها الإنسان مؤثرا خارجيا ،وينفعل له في استرخاء دون ان يبدي من النشاط إلى الحد الأدنى[1]

كذلك نجد الفيلسوف الألماني "كانط" يحدد الجمال، بأنه:" صفة الشيء الذي يلذنا فالشيء الجميل هو الذي يسبب لنا اللذة، و القبيح هو الذي يسبب لنا الاشمئزاز".[2]

واللذة في المذهب الهيدوني هي النهاية السعيدة لنشاطنا، وبحسب هذا المذهب لا يمكن الوصول إلى السعادة إلا في امتلاك وتحصيل اللذات، فالغاية القصوى والخير الأعظم بالنسبة للأفعال الإنسانية يتمثل في اللذة، فاللذة صوت الطبيعة الحق فالناس ينشدون اللذة بدافع غريزي. وقد وافق "أرسطو" فلاسفة اللذة بأن البشر قاطبة يطلبون اللذة و يتجنبون الألم فثمة تناقض بين اللذة والألم.

ولابد لنا أن:" نميز عند حديثنا عن اللذة بين مذهب اللذة السيكولوجي، و يرى أصحابه أن الناس ينشدون بالفعل كل ما يحقق لذتهم، فاللذة هي الغرض الأقصى لرغبة الانسان، والدوافع السيكولوجية لكل تصرفاتنا لا يمكن تفسيرها الا بالرغبة في اللذة والنفور والألم، ومذهب اللذة الأخلاقي يرى أصحابه ان الناس ينبغي ان ينشدوا على الدوام لذتهم،

[1] زكريا،فؤاد:التعبير الموسيقي،مكتبة مصر،القاهرة،د(ط ت) ،ص31.
[2] الحسن إبراهيم سليمان. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س).ص28.

فاللذة وحدها هي الخير في ذاته و لاشيء سواها يحمل في ذاته قيمة سلبية قصوى، فهو وحده الشر في ذاته".[1]

إن حقيقة المذهبيين السالفين هي أن الناس بطبيعتهم ينشدون لذتهم. فهو نظرية تقرر أن غرض الرغبات الأقصى هو بالفعل اللذة، أما المذهب الثاني فتكمن نظريته في القيمة أي السبب الذي من اجله ينبغي أن يفضل عمل على غيره[2]، كما يتوجب علينا التمييز بين مفهوم اللذة بالمعنى البيولوجي الحسي، وبين مفهوم اللذة بمعنى الفرح الروحي في التذوق الجمالي، فما يميز اللذة الجمالية هو اهتمام الذات غير النفعي بالموضوع فهي تعبر عن حاجة فكرية روحية، وعن حاجة تأمل ومعايشة موضوع لا تكمن قيمته في ما يجلبه من فوائد ومنافع بل في واقعه، حضوره ووجوده الفعلي لا غير. في حين أن اللذة البيولوجية تعبر عن مصالح واهتمامات نفعية وتسعى إلى تحقيق حاجات ورغبات بيولوجية اجتماعية كالطعام والشراب والشهوة الجنسية، فالطابع المنزه عن الغرض والنفع الشخصي، هو الذي يميز الشعور بالجمال عن الشعور بالملائمة، واللذة على حد تعبير الدكتور "نايف بلوز".

يستند أصحاب المذهب الهيدوني في فهمهم للذة الجمالية إلى ناحيتي اللذة و الألم

[1] الطويل.توفيق مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاخلاق. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ط1 1953. ص22

[2] المرجع نفسه.

فذهبوا إلى إنكار النشاط الذهني، ولم يعترفوا بالنشاط الجمالي إلا على انه مجرد واقعة وشعور، وأن اللذة الجمالية تكون عن طريق الحواس العليا، من السمع البصر دون سواهما من الحواس، ومما لا شك فيه أن فكرة اللذة الجمالية مأخوذة من فكرة اللذة العامة، والتي بلغت أوجها في أخلاق "ابيقور" حيث يقوم مذهب ابيقور على أساس أن الفعل الخير هو الذي يحقق اكبر قدر من اللذة أو السعادة، فكل شخص يرغب باللذة ويستمتع بها كخير أسمى و ينفر من الألم و يبتعد عنه كشر محض. فالخير المطلق هو اللذة والشر المحض هو الألم.

إن هدف الأخلاق عند "ابيقور" يتمثل في تجنب الألم فقيمة اللذة عند "ابيقور" هي أن لا تكون بحاجة إلى اللذة، أي أنها لا تقوم على إحساس حقيقي بل هي عبارة عن ردة فعل، فبمجرد القضاء على الألم يعود الجسم إلى حالته الطبيعية، وهي حالة السكون فعندما يتخلص الإنسان من الألم يعود الجسم إلى حالته الطبيعية، التي هي حالة الهدوء والخلو من القلق والانفعالات[1].

ويصرح "ابيقور" بأن الإحساس مع انطباعات اللذة والألم هي المصدر الوحيد للمعرفة، حيث يأخذ بتفسيره للمعرفة بنظرية حسية مطلقة ذلك لأن:" المعرفة الحسية هي الأساس في كل ألوان المعرفة، لو انك قاتلت ضد كل إحساساتك فلن يكون لديك معيار تعود إليه، وعلى ذلك لن تستطيع أبدا أن تحكم حتى على تلك الإحساسات التي تنطق

[1] كريسون.لاندريه المشكلة الأخلاقية والفلاسفة. تر. عبد الحليم محمود و اخرون. دار الشعب القاهرة د ط. 1979.ص108.

كذبا".[1] إن عملية المعرفة تتم عندما تنفد صور الأشياء إلى أعضاء الحس، و لما كان الإحساس صادق بالضرورة فإن وقع في خطا يرجع إلى الحكم العقلي، الذي وقع على الإحساس و أضيف إليه.

تستند الأخلاق الابيقورية إلى دعامتين رئيستين وهما:" النزعة الحسية في المعرفة والتي تنتهي إلى نظرية في اللذة والنزعة المادية في الطبيعة التي تنتهي إلى الخلو من الهموم، والوصول إلى حالة "الاتراكسيا" التي يبلغها الفيلسوف عندما تتوفر له الرؤية العقلية الصحيحة في الأشياء، واللذة التي طلبها "ابيقور" لتكون أساس سعادة الإنسان لم تكن في الواقع سببا لقيام تعارض مع نظريته في "الاتراكسيا"، وذلك لأنه لم يتركها بغير قيود او تنظيم، بل فسرها تفسيرا عقليا فالسعادة لا تتم للإنسان إلا بالحكمة والتعقل والفضيلة".[2]

لقد اعتبر "ابيقور" اللذة غاية الحياة ومعيار القيم، وحولها إلى منفعة شخصية، وتصور الفضائل في ظل هذه المنفعة فسلبها قيمتها الذاتية وجعلها مرتبطة بما تحققه من منافع ومصالح للذات، وقد اكد على الجانب السلبي للذة، جانب الهدوء وطمأنينة النفس وراحة البال.

[1] فريدريك تويلستون. تاريخ الفلسفة.تر: إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة. (د.ط).2002 ص536.

[2] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س).ص31.

إذا انتقلنا إلى "سانتيانا" نجد انه:" قام بالربط بين اللذة والجمال، على أساس أن الجميل نوع من اللذة، وعنصرا أساسيا في إحساسنا بالجمال. باعتبارها ظاهرة جمالية مما جعله يعتبر أن الجمال قيمة إيجابية خالصة، وذلك لشدة تأثره باتجاه الفلسفة اليونانية ولحبه الشديد لتراثهم. فالجمال عنده بقي كما كان عند "أفلاطون" و"أرسطو" انسجاما وكمالا و تحققا إيجابيا خالصا".[1]

إن الجمال عند "سانتيانا" وسيلة من وسائل السعادة، وأداة للتعبير الذاتي عن الإنسان، وهو:" نوع من اللذة لكنها ليست لذة فيزيقية، وليست عامة. بل هي لذة مرتبطة بالشعور فهي لذة تختلف عن اللذات الجسدية، في أننا عندما نشعر باللذة الجمالية نسمو على ذواتنا على العكس من اللذات الأخرى التي تشبع حواسنا وغرائزنا. فالمصور لا ينظر إلى الينبوع كانسان ظامئ، ولا ينظر إلى المرأة الجميلة نظرة حيوانية، ذلك لأن اللذة الجمالية بعيدة عن الأهواء الشخصية".[2]

إن الأخلاق في الحقيقة عند "سانتيانا" لا تهتم أساسا بتحقيق اللذة، وإنما هي في أعمق قواعدها تهتم بتجنب الألم، فنحن لا نسعى وراء اللذة كما أننا نثير الضحك لو جعلنا من واجبنا نشد المتعة فقط، بل إننا نشد اللذة على نحو طبيعي مباشر بعد أن ننتهي من عملنا في الحياة .

---

[1] سانتيانا. جورج الاحساس بالجمال. ص 22

[2] الصباغ رمضان. الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق. دار الوفاء للطباعة والنشر. الإسكندرية. ط1. 1998. ص152.

كما يرى "سانتيانا" انه من واجبنا الجاد في الحياة هو الهروب من تلك الشرور المرعبة التي تتعرض لها طبيعة حياتنا، مثل: الموت والجوع والمرض والإعياء والعزلة والاحتقار، وحينما يتكلم الضمير فإنه يتكلم في الحقيقة بصوت يستمد سلطانه من تلك الشرور المرعبة التي تقبع كالأشباح وراء كل أمر ونهي أو قاعدة خلقية.

إن مذهب الأخلاق الذي يقوم على مبدأ اللذة كان وما يزال يتحتم عليه أن يناضل الحاسة الخلقية لدى الإنسان، فالنفوس الجادة التي تحس بكرامة الحياة وأهميتها تثور ضد الفكرة القائلة بأن غاية السلوك السليم هي اللذة، لأنهم يرون أن اللذة عادة إغراء يجب مقاومته، بل يذهب بعضهم إلى ابعد من ذلك، فيجعل من تجنب اللذة فضيلة من الفضائل، والحقيقة هي أن الأخلاق لا تهتم أساسا بتحقيق اللذة، وإنما هي في أعمق قواعدها و أقواها تهتم بتجنب الألم[1].

إن إقامة "سانتيانا" لفلسفته الجمالية تقوم على أساس اللذة والتمييز بين النافع والجميل وذلك على أساس نوعان متباينان من اللذة في اغلب الأحوال كانت نتيجة تمسكه بالفكرة اليونانية القديمة عن الجمال باعتبارها انسجاما وكمالا ولذة إيجابية خالصة.

كما أن عشق "سانتيانا" للفن اليوناني قد أملى عليه اعتبار اللذة والألم، أساسا لحياتنا العقلية كلها، حيث يذهب إلى القول بأن:" المسوغ الوحيد لحياتنا العقلية كلها هو ارتباطنا بلذاتنا و ألامنا" .

[1] سانتيانا جورج الاحساس بالجمال .ص52.

إن الفلسفة الابيقورية كان لها دورا بارزا في فلسفة "سانتيانا" وفي صيغته لنظريته الجمالية.

4/ مفهوم اللعب عند شيللر :

يعرف اللعب بأنه:" هو أن يفعل المرء فعلا غير قاصد به مقصدا نافعا، وضده الجد، ويطلق اللعب في علم النفس على النشاط الغريزي الذي يقوم به الطفل من تلقاء نفسه دون هدف محدد ودون قواعد دقيقة، ويطلق اللعب أيضا على النشاط الذي يقوم به الراشد طلبا للراحة بعد التعب وتفريجا للغم عن القلب، يمارسه وفق قواعد دقيقة تحدد فيها شروط الانتصار والانكسار".[1]

لقد اعتبر أنصار هذه النظريات بأن الفن لعب و لهو، يجد فيه الإنسان متعة تجذبه إليه، وتحببه به، فهو يمثل مجرد نشاط عابث، فالفن مثل اللعب غير نفعي وليس موجها نحو غاية، وله وظيفة ترفيهية وذلك بأنه ينسينا الحياة ويصرفنا إلى اللهو واللعب والترفيه والتسلية.

كما يرى "شارل لالو" أن:" اللعب يقترب من الفن اقترابا عظيما جدا، حتى أن مدرستين حديثتين كبيرتين ذهبتا في تعريف الفن إلى القول بأنه:" الشكل الأعلى للعب ويشاهد الانتقال من إحدى هاتين الوظيفتين إلى الأخرى في لهو الأطفال، مثلا حين يلعبون لعبة الشرطة واللصوص أو لعبة الدمية، وقد اعتمد واضعو هذه النظرية على فكرة

[1] صليبا جميل. المعجم الفلسفي. ج2. دار الكتاب اللبناني. لبنان.(د.ط).1962.ص285.

مفادها أن الإنسان لا يكون إنسانا حقا إلا عندما يلعب، أي عندما يتخلص من العلية الطبيعية".[1]

ولقد طور "فريدريك شيللر" فكرة كانط عن اللعب، حيث كان له إسهاما كبيرا في تأسيس نظرية متكاملة في علم الجمال، تقوم على مفهوم اللعب. حيث رأى أن الفن يتركز في النشاط التلقائي الحر، واعتبره صورة سامية من صور اللعب، ذلك لأن اللعب نشاط إنساني حر موجه ومضبوط، وان كان الفن أرقى صور اللعب فإنه يصبح تعبيرا عن هذا السمو والحرية الإنسانية، فاللعب فيزيولوجيا ونفسيا وروحيا حاجة الطفل أكثر إلحاحا تفجر طاقته، من أجل نحو سليم وبهذا المعنى يصبح الفن الذي هو أرقى أشكال اللعب حاجة الإنسان لتصعيد طاقاته ومعارفه والتعبير عنها، فكما يكتشف الأطفال ذواتهم من خلال اللعب[2]، كذلك الفن يجعلنا نكتشف ذواتنا ونتواصل مع الآخرين، والحياة بكل معانيها، فالجمال عند "شيللر" هو:" الموضوع العام الدافع إلى اللعب، والفن ليس مجرد إعادة تجسيد الحياة فحسب، وإنما العمل على جعلها مثالية يقول "شيللر" بكثرة من الوضوح :" وحده اللعب يستكمل ما في الإنسان ويطور بشكل تلقائي طبيعته المزدوجة فالإنسان جاد فقط في ما يوافقه، في ما هو خير وكامل، إلا انه يلعب مع الجمال، هو قرار العقل إنه لا لعب إلا مع الجمال، وألا يلعب الإنسان إلا في الجمال. وبمعنى أدق

[1] لالو شارل. الفن والحياة الاجتماعية. تر: عادل العوا. دار الأنوار. بيروت. ط1. 1977. ص101.

[2] ميلر،سوزانا:سيكولوجية اللعب،تر:حسن عيسى،مر محمد عماد الدين اسماعيل، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1987،ص15.

تقول أن الإنسان لا يلعب إلا حين يكون إنسانا بالمعنى الكامل للكلمة، ولا يكون كاملا إلا حين يلعب".[1]

وإذا انتقلنا إلى "سانتيانا" فقد نجده أخذ فكرته في التوحيد بين 'الفن واللعب عن "شيللر"، فالفن عند "سانتيانا" يمثل نشاطا متحررا من ضغط الحاجة، وقسر الضرورة. ويقول "سانتيانا":" نستطيع أن نسمي كل نشاط غير نافع لعبا، أي النشاط الذي ينبع من دافع سيكولوجي الى افراغ طاقة لم تتطلبها ضرورات الحياة".

إن العمل يقصد به حينئذ كل فعل ضروري أو نافع للحياة، وإذا ميزنا موضوعيا بين العمل واللعب على أساس أن الأول نافع، والثاني غير نافع فإن كلمة عمل تصبح كلمة مدح، في حين تصبح كلمة لعب كلمة ذم وانتقاص، فلا شك أن يكون من الأفضل لو أننا استفدنا من جميع طاقتنا ولم نضيع أي جزء منها في حركة غير هادفة، وبهذا المعنى يكون اللعب دليلا على نقص التكيف .

ويذهب "سانتيانا" إلى أن:" اللعب بهذا المعنى يناسب الطفولة ،لان الجسد والعقل في هذه المرحلة لا يكونان صالحين بعد لمواجهة البيئة، غير انه لا يتفق و الرجولة، ويكون

[1] نوكس .إ: النظريات الجمالية لكانط .هيغل. شوبنهاور. تر : شفيق زكريا. منشورات ميسون الثقافية. لبنان. ط1. 1985.ص95.

مدعاة للاحتقار والشفقة في الشيخوخة، لأنه في هذه الحالة يدل على هزال الطبيعة الإنسانية، و عجزها عن استغلال الفرص التي تهيئها الحياة".[1]

ويرد "سانتيانا" على الذين اعتبروا أن اللعب مجرد فعل غير جاد، ونفروا من المدرسة التي تعتبر الملذات الاجتماعية و الفن والدين صنوفا من اللعب، و يشاركهم كل مفكر متحرر في هذا النفور بأنهم أقاموا تصورهم هذا على تقييم غير نقدي للحياة، التي لا فائدة منها فإن التطور في هذه الحالة يؤدي الى فقر الطبيعة البشرية بدلا من اثرائها".[2] ويذهب "سانتيانا" على أن قولنا بالنشاط الخيالي الحر للإنسان هو ضرب من اللعب، إنما هو وصف مناسب بلا شك، وذلك لأنه نشاط تلقائي ولا يقوم به الإنسان تحت وطأة الضرورة الخارجية أو الخطر. حقا إن المنفعة التي يعود بها هذا النشاط على الإنسان لأجل بقائه ربما هي منفعة عارضة غير مباشرة، إلا أن ذلك لا يفقد قيمته، وإنما هو العكس إلا أن ذلك لا يفقد قيمته، بل إننا نستطيع أن نقيس درجة السعادة و التمدن التي يصل إليها الجنس البشري بمدى ما يبذله هذا الجنس من طاقة في العمل التلقائي المتحرر من الضرورة، وفي تجميل الحياة و تثقيف الخيال.

وتصبح كلمة العمل بالمعنى الذاتي هي التي:" تتضمن الذم و الانتقاص، في حين تدل كلمة اللعب على المدح، وفي هذه الحال لن يتردد أي فرد يشعر بها لأمور الخيال من أهمية وكرامة في أن يقبل التصنيف الذي يدخل هذه الأمور في باب اللعب، ولا

[1] سانتيانا جورج. الإحساس بالجمال. (م.س).ص64.

[2] المصدر نفسه.

نقصد بإدراجها ضمن اللعب إنها عديمة القيمة، وإنما الذي نعنيه هو أن قيمتها في ذاته ولذاته، فالشيء النافع خير لما يترتب عليه من نتائج حسنة، تؤدي إلى الخير. إلا أن هذه النتائج لا يمكن أن تظل طوال الوقت مجرد وسائل نافعة أو حسنة".[1]

لقد جعل سانتيانا من اللعب عنصرا من عناصر القيمة الجمالية، واعتمد عليه في التمييز بين القيم الجمالية والأخلاقية، فالعمل الفني لا يتجلى على حقيقته إلا حينما تختفي مطالب الحياة و ضرورات التكيف، وفي حين أن العمل الأخلاقي لا يتسم بهذه الحرية ولا يتطلب التلقائية، وعلى أساس هذا التمييز يجوز لنا أن ندخل الأخلاق وأحكامها في باب العمل الجاد. وذلك لأنها تؤدي وفقا لضرورة وابتغاء الغاية، أما الأحكام الجمالية فإنها في باب اللعب، لأنها كاللعب إنفاق لطاقة مختزنة لا تتطلبها ضرورات الحياة فتجسيد الجمال في الفنون هو نوع من النشاط الذي لا تمارسه إلا في وقت الفراغ[2].

إذا التخلص من ضروريات الحياة وأعبائها وعبوديتها وتتبع طبيعتنا حيثما تقودنا وذلك لكي نصل إلى حرية الروح .

فالملاحظ مما سبق، يتضح لنا كيف تأثرت نظرية الجمال السانتيانية بالنظريات التي رأت بالفن نوعا من اللعب الحر لقوى الإنسان المختلفة، وعلى وجه الخصوص نظرية اللعب الشيلرية.

[1] سانتيانا جورج: الاحساس بالجمال(م. س)، ص66.

[2] المرجع نفسه.

إن مصادر فلسفة سانتيانا العامة أثارت الكثير من الآراء المختلفة حولها، فإننا نجد أن مصادر فلسفته الجمالية كانت أكثر شمولا واتساعا، من أن نجمعها كلها في فصل واحد، إلا أننا حاولنا ما استطعنا الإلمام من أفكار سانتيانا الجمالية أن تقارن بين أفكار سانتيانا الجمالية وأفكار غيره من الفلاسفة السابقين عليه و المعاصرين له.

استقى سانتيانا معظم عناصر فلسفته الجمالية من الفلسفة اليونانية، حيث اخذ من ديمقريطس فكرته عن المادة باعتبارها الأساس الأول للعالم و الجمال، إضافة إلى تأثره بنظرية المثل الأفلاطونية، والذي أطلق عليها اسم الروح وجعل منها مصدر الجمال في العالم الأرضي، والنموذج الذي تقاس به الأشياء الجميلة. كما تأثر بمفهوم اللذة و الألم عند ابيقور والذي رأى فيه مقياس لتمييز الأحكام الجمالية عن غيرها من الأحكام، كما اخذ عن شيللر فكرته عن الجمال بأنه نوع من اللعب التلقائي الحر، والذي لا يؤدي إلى منفعة معينة .

وأخيرا نستطيع القول، بأنه على الرغم من أن سانتيانا قد استقى معظم عناصر فلسفته الجمالية من الفلسفات السابقة و المعاصرة له ، فقام باشباعات هذه الفلسفات. وتمثلها وتعمقها وزاد عليها و أعاد إفرازها ، لكي تتلاءم مع روحه ونسقه الفلسفي المتكامل.

المبحث الثالث: العلاقة بين الحدس والعقل.

1/ مفهوم الحدس لغة و اصطلاحا:

الحدس لغة: الحدس من الظن والتخمين والتوهم في معاني الكلام والأمور، والنظر الخفي، والضرب والذهاب في الأرض على غير الهداية والرمي والسرعة في السير.

الحدس اصطلاحا : الحدس (Intuition) هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة، فيلاحظ في الإدراك الحسي، ويسمى بالحدس الحسي من جهة يكون أساسا للبرهنة والاستدلال، ويسمى حدسا عقليا من جهة أخرى. فبالحدس ندرك حقائق التجربة، كما ندرك الحقائق العقلية من ذلك يعد بأنه ضرب من المعرفة أو الإدراك المباشر[1]، والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة القدماء مأخوذ من معنى السرعة في السير، والمقصود بذلك الحركة وسرعة الانتقال تمثل المعنى في النفس دفعة واحدة، وفي وقت واحد كأنه وحي مفاجئ.

وقد قدم ابن سينا:" فهما جديدا للحدس عندما شرح كتاب البرهان لأرسطو، حيث يبين أن الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب، وهو سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول، وبذلك يكون الحدس دالا على المعرفة صحيحة تتم بسرعة أو دفعة واحدة".[2]

[1] صليبا جميل :المعجم الفلسفي.ج1.ص451.
[2] المرجع نفسه، ص452.

أما في الفلسفة الحديثة، فيرى "ديكارت" بأنه معرفة عقلية مباشرة لا تعتمد على الحواس، أو الخيال فيقول عنه:" لا اقصد بالحدس شهادة الحواس المتغيرة، ولا الحكم الخداع لخيال فاسد المباني، إنما اقصد به التصور الذي يقوم في ذهن خالص منتبه بدرجة من السهولة والتميز لا يبقى معها مجال للريب. أي التصور الذهني الذي يصدر عن نور العقل وحده.

وبذلك يكون الحدس عنده نورا فطريا غريزيا، يمكن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحدة، وليس على التعاقب. فهو إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تسلم إليه، فهو عمل عقلي محض به تدرك الأفكار والطبائع البسيطة التي لا تنقسم إلى أجزاء كالوجود والوحدة و الزمان و المكان و الامتداد.

ويذهب "لالاند" في موسوعته الفلسفية، إلى بيان ابرز معاني الحدس في تاريخ الفكر الفلسفي بأنها:" معرفة حقيقية بينه مهما تكن طبيعتها تستعمل مبدأ مرتكزا للاستدلال النظري تدور حول الأشياء وعلاقتها.

والحدسية : (intuitionnisme) مذهب من يرى أن للحدس المكان الأول في تكوين المعرفة ولهذه الحدسية في تاريخ الفلسفة معنيان الأول: إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن إدراك وجود الحقائق المادية إدراك حدسي مباشر لا إدراك نظري".[1]

[1] صليبا جميل. المعجم الفلسفي. ج2. دار الكتاب اللبناني. لبنان.(د.ط).1962.ص454.

ونحن نطلق الحدس على اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر او الحس الباطن من صورة حسية أو نفسية، أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجئ لا على سبيل القياس و على سبيل الاستقراء و الاستنتاج.

•أنواع الحدس:

1/ الحدس الحسي: هو:" اطلاع مباشر على ما تعرضه علينا الحواس من ألوان وأصوات.

2/ الحدس النفسي: هو معرفة النفس لأحوالها و أفعالها ،فنطلع بشكل مباشر على ما يجري داخل أنفسنا من ذكريات و عواطف و رغبات".[1]

3/ الحدس العقلي: هو الإدراك المباشر للمعاني والقضايا البسيطة، فندرك استحالة وجود الشيء و عدمه في نفس الوقت، وإدراك النقطة الهندسية التي لا عرض لها و لا عمق ولا طول، والتعرف على معنى الخط المستقيم، الذي لا نهاية لطوله انه عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة معينة و يفهمها في وقت واحد.

[1] بنت عبد الله أحمد بوكر وديعة. علاقة الحدس في علم الجمال بعلم النفس –الفن وتأثره على عملية النقد والتذوق الجمالي. مجلة البحوث الغربية النوعية. جامعة المنصورة. العدد26. 2012. ص521.

إن الحدس في الفلسفة هو الإدراك المباشر لحقيقة أو فكرة ما حاضرة أمام الذهن دون استدلال أو قياس تمهيدي، والمعرفة الحدسية لا تحتاج إلى معيار خاص لقيمة الصدق، فطبيعتها واضحة ليس في حاجة إلى برهان.

2/ الحدس في علم الجمال: ماهيته- فلسفته:

قد أصبح علم الجمال غريبا في عالم حداسته الصدفة، إذ أن هذا المصطلح مشتق من كلمة التي تعني الأشياء القابلة للإدراك، بينما يعرف قاموس أكسفورد هذا "aistheta" المصطلح من أنه:" المعرفة المستمدة من الحدس و بهذا يختار هذا العلم في أن يكون إدراكا فقط أو إحساس فقط، وذهب الفلاسفة إلى أن المعرفة لا تصل إلينا إلا عن طريق العقل أو الحواس وإنما عن طريق الحدس".[1] وهؤلاء أطلق عليهم الحدسيون، و بشيء من التفصيل المذهب الحدسي يحددون الحدس بأنه الإدراك المباشر للواقع، أو الفهم الفوري للحقيقة، فاللذين يأخذون المذهب الحدسي في نظرية المعرفة هو الذي يراد المعرفة في صورها المختلفة إلى الحدس، ويرى الشعور المباشر الذي يتم بلا توسط ودون تفكير عقلي .

إذا فمصدر المعرفة عند الحدسيين هو العقل، الذي يستنبط ويستدل، وليست الحواس التي تلمس وتحس، وإنما هو الحدس الذي يدرك الواقع بغير وساطة، ويكشف لنا الحقيقة مباشرة. وبالتالي يقودنا إلى جوهر الحياة.

[1] نجيب محمود زكي. حياة الفكر في العالم الجديد.(م.س). ص54.

إن الحدس هو وسيلة للكشف عن الرؤى الجمالية، والصور الذهنية المتخيلة. حيث هناك علاقة وثيقة بين الحدس في علم الجمال، إن الحدس كجانب معرفي، يظهر لنا مدى تأثير الثقافة واختلاف الأذواق على نوعية الاستجابة، ولكن الفن عموما على العكس مما نخيل فهو فعل و تحقيق وليس مجرد حدس و تعبير.

3/ مفهوم العقل لغة و اصطلاحا:

- **العقل لغة هو:** الحجر والنهي، وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل، كما يمنع العقال الناقة من الشرود. ويطلق "العقل" على:" إدراك الأشياء على حقيقتها، وعلى التثبت في الأمور و تمييز الحسن منها من القبيح، ومنه قولهم: "عقل الغلام أي أدرك وميز، ومنه قولهم عقل الشيء بعقله عقلا: أي يفهمه".[1]

وسمي عقل الإنسان وهو تمييزه الذي فارق به جميع الحيوان عقلا، لأنه يعقله، أي يمنعه من التورط في التهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه.

- **اصطلاحا:** قد اختلف العلماء في تعريف العقل وحقيقته، لكونه اسم مشترك لمعان عدة فهو: "ملكة أي هيئة راسخة تدرك بها العلوم و الجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه.

[1] صليبا جميل. المعجم الفلسفي. ج2. دار الكتاب اللبناني. لبنان.(د.ط).1962.ص84.

الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده انه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره و حركاته و سكناته .

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده انه معان مجتمعة في الذهن تكون المقدمات تستنبط بها الأغراض و المصالح.

الثالث: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده انه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها و قبحها ونقصانها".[1]

أما الفلاسفة فان للعقل عندهم معاني:

1/ الأول: أن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها.

2/ الثاني: قولهم أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا و الاقيسة والفرق بينه وبين الحس أن العقل يستطيع أن يجرد صورة المادة.

3/ الثالث: انه:" قوة إصابة في الحكم"، أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر والحسن من القبيح.

4/ رابعا: انه قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان.

5/ خامسا: العقل هو مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة، كمبدأ عدم التناقض ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية. قال "ليبنيز":" يتميز الإنسان عن الحيوان بإدراكه للحقائق الضرورية و الأبدية، فهي التي تولد فيه العقل و العلم وتسمو إلى معرفة ذاته".

[1] صليبا جميل. المعجم الفلسفي، ص84.

وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة (monadologie) بتأثير "كانط"، حتى أصبح الفلاسفة يقولون:" أن إدراك العالم لا يتم بما يحصل للعقل من مدركات تجريبية فحسب، بل يتم بما لديه من معان فطرية".

6/ سادسا: وفيه معان ثلاثة يطلق عليها الجمهور اسم العقل، فيقال: عقل لصحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده: انه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة ويقال: عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح و الأغراض.

والمذهب العقلي هو القول:" أن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية وهو مذهب ديكارت واسبينوزا وليبنيز وفولف وهيجل. ويطلق بوجه خاص على النظرية التي ترجع " الحكم إلى الذهن لا إلى الإرادة، فلا تفسح المجال للظواهر الوجدانية ولا الإرادية في الأعمال الذهنية"[1].

[1] صليبا جميل. المعجم الفلسفي ص85.

الفصل الثاني:

فلسفة الجمال و طبيعته عند سانتيانا.

- **المبحث الأول: السيرة الذاتية لجورج سانتيانا.**
- **المبحث الثاني: معنى الجمال وطبيعته عند سانتيانا.**
- **المبحث الثالث : اثر نظرية الجمال لجورج سانتيانا على الفلاسفة اللاحقين.**

المبحث الأول: السيرة الذاتية لجورج سانتيانا.

1/ شخصية جورج سانتيانا :

جورج سانتيانا ولد سنة 1863 بمدينة "مدريد"، لوالدين إسبانيين هاجرا إلى بوسطن بولاية "ماساشوستس"، وهو لا يزال طفلا، تلقى دراسته في :" جامعة هارفارد، و بعد حصوله على درجة الدكتوراه ظل بها يعمل في تدريس الفلسفة حتى سنة 1912 ، حين الت إليه تركة ضخمة رأى معها انه ليس بحاجة إلى عمله في التدريس، و منذ ذلك الوقت إلى أن وافته المنية سنة1952.قام برحلات عديدة وألقى محاضرات في كثير من الجامعات والكليات في جميع أنحاء العالم، ولم ينقطع عن كتاباته الفلسفية، وعندما حضرته الوفاة كان يقيم في احد أديرة روما حيث ظل يعيش عيشة الترهيب منذ الحرب العالمية الثانية"[1].

مع أن الاسبانية كانت لغة (جورج سانتيانا) الأم إلا انه كتب كامل إنتاجه، وابرز أثاره الفلسفية و الفكرية باللغة الإنكليزية التي قدمها للبشرية، إلى جانب إشعاره ذات الطابع الفلسفي، وكتبه في المجمل تضم أهم الأفكار التي جمعها خلال اهتمامه بنظرية علم الجمال و تاريخها وأهمية تنظيم الحقائق النقدية المعروفة ووضعها في شكل مذهب موحد، مستلهما في ذلك المذهب الطبيعي في علم النفس، وكان أول ما نشره مجموعة

[1] سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال ، تر محمد مصطفى بدوي ،مراجعة زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة2002،ص15.

شعرية بعنوان "سوتيتات" وأشعار أخرى عام1894م. ثم كتابه تحت عنوان الإحساس بالجمال1896. حيث يعتبر هذا الكتاب الإنجاز الأهم في هذه الحقبة الدراسية في علم الجمال وبعده ألف كتاب تفاسير في الشعر والدين 1900، ثم كتابه حياة العقل1906، أعقبه كتاب بمجلدين بعنوان ثلاثة شعراء فلاسفة :" لوكريتيوس" و"دانتي"و"غوته"1910، و كتاب رياح العقيدة 1913 ، ناقش فيه شعر شلي وفلسفة برغسون ورسل ثم ألف كتاب الريبة والإيمان عام1923، وهذا الكتاب هو عبارة عن محور فكر سانتيانا في حقبة ما بين الحربين العالميتين ،كما وألف كتاب في أربعة مجلدات أنواع الوجود كما وقد كتب جورج سانتيانا رواية هي البيوريتاني الاخير1935 .

كما ألف كتابا تحليلا عن دور الإنسان و التناقضات في المجتمع الأمريكي تحت عنوان الهيمنة والقوة 1951، وقد كان جورج سانتيانا يعمل في ترجمة الشعر الإيطالي "لورنزودي مديتشي" قبيل وفاته في روما حيث دفن في مقبرتها الاسبانية .

وإذا انتقلنا إلى فلسفة جورج سانتيانا العامة، فإننا نجده من أنصار الواقعية النقدية يعترف بالوجود الموضوعي للعالم المادي، ويرى أن الأشياء التي هي موضوعات المعرفة الإنسانية موجودة وجودا خارجيا مستقلا عن تلك المعرفة.

أن الطبيعة في واقعها لا تتغير بنظرة الإنسان إليها، ولا بالقيمة التي يلصقها بها فقد:" يختار الناظر إليها نظرة العالم، أو يختار نظرة الفنان، اعني انه قد ينشد فيها الباحث ما هو حق أو قد ينشد فيها ما هو خير أو جميل، لكن هذه النظرات المختلفات

كلها لن تجعل من الطبيعة شيئا أخر غير ما هي عليه، فالعالم والفنان معا يتغذيان بغداء مصدره واحد وإن اختلف الغذاء".[1]

ويذهب سانتيانا كما يذهب كذلك الكثير من الواقعيين، إلى أن وعي الإنسان أو شعوره، إنما يدله على حقائق الأشياء التي يعيها في ذاتها خارج نفسه، وليس وعيه إياها أو معرفته لها، فمعرفة الإنسان للشيء الذي يدركه صورة تمثل ذلك الشيء تمثيلا صحيحا، فالإنسان يتصل في عملية المعرفة بالعالم المعروف اتصالا مباشرا، ويدرك اللون كما هو واقع.

2/ فلسفة جورج سانتيانا :

تتسم فلسفة سانتيانا بالعمق والشمول، وذلك لكثرة ما قرأ واستوعب من أفكار وفلسفات ونظريات، مما جعل فلسفته فلسفة للعالم اجمع، لا لإقليم بعينه فقد كان اهتمامه منصرفا إلى الأفكار الخالدة، لا غالى المشكلات العابرة، وبني فلسفته على أساس ثالوث القيم السامية (الحق ،الخير ، الجمال) الذي يضم العالم كله، حيث لم يفته من ملاحظة أن الفيلسوف لا يكون كذلك إلا إذا عرف الحق و أحب الجمال وأحب الخير أيضا، و هذه وإذا أردنا تتبع مصادر فلسفة سانتيانا لوجدنا انه استقى عناصر فلسفته من منابع شتى ولذلك يعد البحث وتتبع الخلفية الفلسفية لسانتيانا من الأمور المعقدة ،لتنوعها وامتدادها

[1] نجيب محمود زكي. حياة الفكر في العالم الجديد. دار الشروق. القاهرة. ط2. 1982. ص201-202.

في أعماق التاريخ الفلسفي، فهي فلسفة تضرب بجلودها في الماضي إضافة إلى انه لا يشير في أعماله إشارة مباشرة إلى مصادر أفكاره وأساسها، وإنما يترك حرية للقارئ إن فلسفة جورج سانتيانا تضرب بجذورها في الماضي السحيق، أي الفلسفة اليونانية، فقد قام احد الباحثين و يدعى "سوليفان" بكتابة بحث عن ميراث «سانتيانا الفلسفي» وبدا فيه بعرض جميع المصادر الأساسية لفلسفة سانتيانا، النابعة من المثالية اليونانية والمادية النزعة الشكية، أما النزعة الروحانية من القرون الوسطى و لكن العناصر الأساسية التي شكلت فكر سانتيانا الفلسفي هي ثلاثة:

الأفلاطونية، النزعة المادية، الشكية.

وفي كتابه عوالم الوجود فيعرض فيه سانتيانا فلسفته في الوجود، حيث قسم الوجود إلى أربعة عوالم (ممالك):مملكة المادة ، مملكة الحقيقة ، مملكة الروح، مملكة الماهية ولكن سانتيانا يقرر لن المادة والماهية لا يستنفذان كل الموجودات بل يوجد أيضا الحق والروح، ولهذا فان ممالك الوجود أربع.تؤلف في الحقيقة وحدة،أنها مجرد مقولات موجزة لمنطق قصد بها إلى وصف عملية ديناميكية طبيعية واحدة.

مملكة الماهية: يقصد سانتيانا بالماهية خصائص الشيء بالعامة لكن إلى جانب الماهيات المتحققة بالفعل،وكل واحدة منها مفردة ومستقلة استقلالا مطلقا عن غيرها من الماهيات، فهي إذن لا تندرج بعضها في بعض مثل الأنواع و الأجناس[1].

مملكة المادة: تمثل المادة الطرف المقابل للماهية،ونحن لا نعرف حقيقة المادة،ويرى سانتيانا أنها سيّال الوجود فليس لها خاصية محددة،فهي تلبس ثوب ماهية أخرى ونحن لا ندركه إدراكا مباشرا بل نوع من المتأمل المتعالي،من ذلك النوع الذي أشار إليه ايمانويل كانط[2]

مملكة الحقيقة: كلما ارتدت المادة ثوب الماهية أوجدت حقيقة وعن هذا تتكون مملكة الحقيقة و الحقيقة لا تنسب إلى العالم المادي بل تنسب إلى مملكة الماهية،ونظرة سانتيانا إلى الحقيقة هي نظرة الإدراك العام فهو يقرر أن حقائق العالم مستقلة عن أرائنا الذاتية ولما كانت الحقيقة مرتبطة بالواقع فانه لا يوجد حقائق منطقية، محضة، ولهذا فالرياضيات، وهي تتناول فقط العلاقات بين الماهيات ،هي ملزمة شكلا ولكنها ليست حقيقة حين تطبق الرياضيات على عالم الوجود فإنها تدرج ضمن الحقائق[3]

مملكة الروح: المقصود بالروح عنده هو العقل أو الشعور،وهو يرى أن النفس مجرد تعبير مجازي عن المادة،إنها تنظم سلوك الجهاز العضوي في الجسم الإنساني وفقا لمبادئ

[1] بدوي،عبد الرحمن: موسوعة فلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص581.

[2] إبراهيم ، سليمان الحسن:فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا ص 12.

[3] بدوي عبد الرحمن:موسوعة الفلسفة،ص582..

الميكانيكا وارتباط الروح بالنفس يؤمن في المقام الأول،كما أن الروح ليست قوة بأي معنى من المعاني كما أنها ليست فاعلا أن الروح هي مجرد وعي ،أما الجسم فهو وحده الفعال ذو القوة والنفوذ[1]

المبحث الثاني: معنى الجمال وطبيعته عند سانتيانا

1/ معنى الجمال عند جورج سانتيانا:

وإذا انتقلنا إلى سانتيانا نجده يعرف الجمال بقوله:" الجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجودا موضوعيا، أو في لغة اقل تخصصا، الجمال هو لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته"[2]. و يفسر لنا سانتيانا تعريفه للجمال بقوله:" هو تلخيص مجموعة مختلفة من مواضع الشبه والاختلاف هي أن الجمال قيمة، أي انه ليس إدراكا لحقيقة واقعة أو لعلاقة، وإنما هو انفعال، لطبيعتنا الإرادية التذوقية. فبالتالي لا يكون الموضوع جميلا إذا لم يولد في نفس احد[3].

وهنا يجد سانتيانا انه يعرف الجمال بالاستناد إلى تصوره للذة التي تصاحب الخبرة الجمالية، حتى وان هذه الخبرة كانت تخاطب الإحساس و الشعور، إلا أنها ليست مجرد خبرة حسية. لأنه يصاحبهما حكم نقدي أو تفضيل.إن هذه القيمة ايجابية، أي أنها

[1] بدوي،عبد الرحمن :موسوعة الفلسفة،ص582.
[2] جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال(م س) ، ص 92.
[3] المصدر نفسه.

إحساس بوجود شيء حسن (حالة القبح). وهي ليست أبدا إدراكا لشر إيجابي أي أنها ليست قيمة سلبية[1] .ففي هذه حالة فإننا في حالة الجمال لا ندرك إلا الأشياء إيجابيا.

إذا فاستبعاد سانتيانا للقيم السلبية هو استبعاد للوجه الأخر من الحياة، و هذا ما أدى إلى تقصيره في فهم الظاهرة الجمالية، إلا إننا نفسر لسانتيانا هذا الاستبعاد، باستبعاد للشر من دائرة الجمال، فالجمال لديه يقوم على الخبر وحده، فلا يدخل في تنسج الجمال سوى ما هو صالح في الحياة، فسانتيانا أراد بها الاستبعاد أن يبني عالما جميلا لا وجود للنقص و الشر فيه .إن مفهوم الجمال عند سانتيانا يماثل نفس المفهوم عند أرسطو وأفلاطون وهو أن الجمال يتمثل في الانسجام والكمال فالجمال قيمة إيجابية خالصة للوظائف الحيوية بالأساس يحصر سانتيانا مقومات الجمال في ثلاثة عناصر:

1/ المادة: ويشير بها إلى اللذات الحسية التي توفرها لنا الحواس المختلفة مع ملاحظة اختلاف كل منها في درجة ونوع اللذة وأشدها لذة البصر.

2/ الصورة: والصورة حيث يسند إدراك العنصر الصوري إلى فسيولوجية الأجهزة الحسية .

3/ التعبير: الذي هو مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضيف على المضمون الجمالي لأي عمل فني ،دلالة وجدانية خالصة تختلف باختلاف الذكريات والارتباطات التي تتولد في ذهن المتذوق لهذا العمل.

[1] جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال ص92.

2/ العلاقة بين القيم الجمالية والأخلاقية:

يعد الاهتمام بالجمال والأخلاق محورا رئيسيا من محاور التفكير الإنساني، حيث تمثل العلاقة بين الجمال والأخلاق من أعمق المشكلات واعقدها، و يفسر لنا هذا ما نراه من اختلاف الآراء وأقوال متباينة حول هذه العلاقة وما نشا عنها من مدارس وتيارات وصلت إلى حد التضارب والتنافر.

حيث شغلت هذه العلاقة بين الجمال والأخلاق الكثير من الفلاسفة ومفكري الجمال منذ القديم حتى وقتنا الحاضر، حيث لم تغب قضية الفن من اجل الفن و الفن من اجل المجتمع عن فكر علماء الجمال والفلاسفة على مر العصور.

والسؤال التي أثارته هذه المشكلة هل من واجب الفنان أن يراعي الأخلاق والفضائل في عمله الفني، أما عن عمل الفنان فهو يهدف إلى المتعة الفنية فقط لا دخل له بالحياة هل توجب على الجمال أن يأتي بثمار أخلاقية أم انه لا يستذله سوى المتعة واللذة.

- **الفصل بين الجمال و الأخلاق:**

إن سانتيانا حريص كل الحرص على تمييز القيمة الجمالية عن كل من القيم الأخلاقية و القيم العملية، فنراه يقرر أولا أن:" القيم الجمالية على العكس من القيم الأخلاقية قيم إيجابية تمدنا بلذات حقيقية، في حين أن القيم الأخلاقية قيم سلبية، تقتصر مهمتها على اجتناب الألم ومحاربة الشر، والواقع أن عالم الأخلاق إنما هو عالم الواجب والإلزام والتكليف والصراع ضد الخطيئة".[1]

[1] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س).ص61.

نجد هنا سانتيانا" انه يستبعد الشر من دائرة الجمال، حيث لا توجد قيمة جمالية تقوم في الواقع على أساس تجربة الشر، فقد تستطيع الفصيحة عن أمر تحظى ببعض إعجاب العامة، حتى الجريمة يمكن أن تحظى بإعجابهم إلا أن هذا الإعجاب لا دخل له بالجمال، و إنما مصدره الوحيد هو بلادة الإحساس بالجمال. في حالة الجمال لا ندرك إلا الخير، على عكس الجمال فإننا لا نستطيع أن ندرك الخير إلا بإدراكنا للشر المقابل له .

كما ميز سانتيانا بين الجمال والأخلاق، وذلك على أساس طبيعة التجربة المباشرة فالأحكام الجمالية تقوم على الخبرة المباشرة لا تستند على فكرة المنفعة أو الغاية التي تستنتج عن التجربة. أما الأخلاق فإنها تقوم على النفع التي يترتب عليها التجربة.حيث أن: "فسانتيانا يطالب الأحكام الاستطيقية بان تعكس الخبرة الحالية المباشر للجمال...بينما الأحكام الأخلاقية تعكس النفع الناتج ، فالأخلاق تفترض ضمنا تحديد كم الجودة المتوقعة بطريقة نظرية تتبع من الأفعال المتصلة أخلاقيا، ولكن الجمال يؤثر في الشخص المدرك وما وراء اللذة المحسوسة ، ومع التقدير للأشياء الجميلة لا تحتاج إلى خطوات حتى تحصل عل ثمرات اللذة المتعة الناتجة عن الخبرة".[1]

[1] نجيب محمود زكي. حياة الفكر في العالم الجديد.(م.س).ص215.

إن الحكم الأخلاقي ضرورات عملية تكمن في أن نخلع كل ماله من قيمة و ذلك إلى الاتجاه نحو غاية معينة، في حين ان الحكم الجمالي غاية اللذة والمتعة التي تصاحب فعل الإدراك.

إن قيمتا الخير والجمال عند سانتينا ينتميان إلى :" عالم الروح لا من عالم الطبيعة المتحقق، إذا الخير والجمال كلاهما تصوران الإنسان بخياله ليرسم مثلا أعلى يستريح له في أحلامه ماداما لا يتحققان في دنيا الواقع، إن الإنسان ليتم راحته النفسية من حيث الخير و الجمال إذا هو جعلهما موضوع تأمل و تفلسف، لكن راحته النفسية من حيث الحق لا تتم إلا إذا و جد الحق متمثلا في الواقع".[1]

وان كان الجمال و الأخلاق عند سانتيانا متفقان بكونهما ينتميان إلى عالم الروح لا إلى الواقع الفعلي. إلا أنهما يختلفان اختلافا شاسعا بعد ذلك فمن غير الجائز أن نطلب من الجميل أن يكون كذلك خيرا، أو من الخير أن يكون كذلك جميلا، و ما أكثر أن نرى الفنان و هو الذي يصور الأخلاق على خلاف شديد مع الأخلاقي، فترى هذا يفقد ذاك بأن فيه لا يؤدي إلى الفضيلة، كذلك قل فيها ينشب من خلاف بين الحق الذي تنشده العلوم وبين الفضيلة التي يريدها الأخلاقيون، و العالم يجيب وهو على حق بأنه لا شان له في بحثه العلمي بالفضيلة، وهكذا نجد كيف تقترن القيم الثلاث الحق الخير الجمال ويجب أن تفترق لأنها مختلفة الأصول، ومن الخلط توحيدها وإهمال ما بينها من فروق.

[1] نجيب محمود زكي. حياة الفكر في العالم الجديد.(م.س).ص215.

يرى سانتيانا انه من المستحيل الجمع بين القيم الثلاث، و ذلك لأنها مختلفة الأصول ولا تنبع من مصدر واحد بل إنها تسير في خطوات منفصلة وغير ملتقية.

كذلك نجد في موضع أخر تأكيد سانتيانا لهذا الانفصال بين الأخلاق والجمال، حيث يقول:" أن الجمال والأخلاق كلاهما ضد الأخر ويمثلان الذاتي والموضوعي، وهذا التمييز يمثل إشكالية بين الجوهري والظاهري كما ينبغي أن يكون".[1]

- **الترابط بين الجمال والأخلاق:**

إن أخر الدراسات الجمالية العميقة التي يفيض بها كتاب العقل في الفن، ولكن الذي يعيننا بصفة خاصة من كل هذه الدراسة إنما هو حديث سانتيانا عن صلة الفن بكل من الأخلاق والحياة، في الفصول الثلاثة الأخيرة من كتابه المشار إليه. وهنا يبدأ فيلسوفنا حديثه باستيعاب الاتجاهات المختلفة الممكنة في تصور مشكلة الصلة بين الفنون والحياة فيحصرها في أربعة مواقف.

1/ **الموقف الأول:** هو ذلك الذي يفصل الفن تماما عن الحياة بدعوى ان الفن للفن، وان النشاط الفني نشاط غير مشروط، وبالتالي انه نشاط مستقل استقلالا تاما عن شتى مظاهر الحياة البشرية الأخرى.

[1] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا.(م.س).ص75.

أدى هذا الموقف غالى اعتبار أن الفن بمثابة عبادة وجمال خالص، فأنصار الفن للفن يعتقدون أن الفنان لا شان له بالحياة وإنما هدفه الاستمتاع والتلذذ الفني، فهم يرون أن الفن مستقل استقلالا تاما عن مجالات الحياة الأخرى.

2/ **الموقف الثاني** فهو:" على الفيض تماما من الموقف الأول لأنه يستبعد النشاط الفني من مظاهر النشاط البشري الجدي فيساير أفلاطون في طرده للشعراء من جمهوريته ويحجر على الفن باسم الرقابة الأخلاقية الصارمة".[1] وذلك باعتبار أن الفن يعتبر مفسدا للأخلاق فهو يثير الأهواء و يطلق العنان للشهوات.

3/ **الموقف الثالث** فهو: ذلك الذي ينسب إلى الفن قيمة نسبية بوصفه مرحلة ضرورية من مراحل التقدم الديالكتيكي للروح البشرية، وان كان من شان هذا التقدم أن يفضى بالضرورة إلى تجاوز الحياة الجمالية من اجل الانتقال إلى مرحلة أخرى قد يمثلها العلم أو الأخلاق أو الدين، فأصحاب هذا الاتجاه يعترفون بقيمة الفن، ولكنهم يخضعونه لمبدأ تقويمي يحكم عليه سلفا بالبقاء في مستوى أدنى من مستويات غيره من مظاهر النشاط البشري.

4/ أما **الموقف الرابع:** وهو في نظر سانتيانا الموقف الأوحد الذي ينصف في الحكم على الفن، فهو ذلك الذي يدمج النشاط الجمالي في صميم الحياة العقلية للوجود البشري باعتباره مظهرا من مظاهر سعي الإنسان نحو تحقيق المثل الأعلى، وبذلك لا يكون الفن

[1] إبراهيم.زكرياء فلسفة الفن في الفكر المعاصر.ص90.

مستقلا تماما عما عداه من منشط الحياة الإنسانية، ولا يبقى بمعزل تماما عن الحياة الجدية.

ولا يجد سانتيانا ادنى صعوبة في البرهنة على تهافت الموقفين الأولين، باعتبارهما مجرد اتجاهين خطيرين ينطويان على تجاهل تام لشروط المثل الأعلى العقلي، فحينها نعلي من شان الفن إلى الحد الذي :"نجعل معه من النشاط الفني حقيقة عليا تحمل تبريرها في ذاتها، دون أن تكون عليها ادني تبعة بإزاء أي شيء أخر، فإننا نجعل من هذه الحقيقة الفنية واقعة جدباء مصطنعة لا صلة لها أبدا بالحياة الواقعية، وكما أن من واجب الفنان أن يكشف عما في الوجود من إمكانيات الانسجام، أو من ضروب التوافق فالفن إذا لم يكن على صلة وثيقة بالحياة و المجتمع، فبالتالي تنحصر كل مهمته في استنارة خيالاتنا وتهييج انفعالاتنا دون أن تكون له ادني علاقة بوجودنا الواقعي أو بسعادتنا الحقيقية".[1]

وفي كتاب الإحساس بالجمال لسانتيانا يمضي إلى إقامة أخلاق جمالية، على اعتبار أن الفضائل العليا كالشرف والصدق و النظافة حينما تثير عدم هذه الفضائل اشمئزاز غريزيا في النفوس، كما يحدث في حالة المهذبين من الناس فان:" الاستجابة حينئذ تكون في جوهرها استجابة جمالية، وذلك لأنها لا تقوم على التفكير وجب الخير

[1] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. (م.س).ص88.

إنما تقوم على حساسية المزاج، ومع ذلك فهذه الحساسية الجمالية تسمى بحق خلفية وليدة التدريب الخلقي الواعي".[1]

3- طبيعة الإحساس الجمالي وماهية العلاقة بين الموضوع الجميل واحساسنا به:

إن الإحساس بالجمال يمثل مركزا هاما في الحياة البشرية، واهم بكثير مما شغلته نظرية الجمال في الفلسفة فالموسيقى والشعر والفنون التشكيلية تلعب دورا كبيرا في اهتمام الإنسان بالجمال. كثيرا ما نجد الناس يعيشون الأشياء في حواسهم الجمالية، وذلك فيما يختارونه من أذواقهم في اختيار ملابسهم، بيوتهم، ألوانهم، ونجد الفن يرتبط بالإحساس الجمالي. ولكن ما هو الجمال؟ إن التعريفات المثالية التي ترى بأن الجمال الحقيقي هو مثال الجمال أو الجمال ذاته، فإننا يجب أن نبحث عنه في الطبيعة و في الأعمال الفنية وذلك لما تثيره من الإحساس الجمالي في نفس المتذوق. فالجمال لا يشبع العاطفة الإنسانية، وإنما يحقق للإنسان إحساسنا بالمتعة و الرضا.

ومهما كان تعريفنا للإحساس الجمالي فلا بد بنا على الفور من أن نصفه بأنه تعريف نظري فإن الإحساس المجرد بالجمال ليس إلا القاعدة الأساسية للنشاط الفني فالناس الأحياء هم من يفسرون هذا النشاط.

[1] سانتيانا ،جورج. الإحساس بالجمال .(م.س).ص81

ويرى "هربرت ريد" أن الإحساس الجمالي يمر بثلاث مراحل:

1/ المرحلة الأولى هي :" مجرد تصور المميزات المادية الألوان و الأصوات و الحركات وعديد من ردود الأفعال المادية غير المحدودة و المعقدة الأخرى.

2/ المرحلة الثانية هي: تنظيم مثل هذه التصورات في أشكال وصور ممتعة .

3/ المرحلة الثالثة: حينما يتم مثل هذا التنظيم للتصورات، لكي يتطابق مع حالة من الشعور أو الإحساس".[1] كانت موجودة من قبل أن مرحلة التعبير تتمثل في التنظيم للتصورات لكي تتطابق مع حالة من الشعور أو الإحساس.

إن هذه المراحل تطابق ما ذهب إليه سانتيانا من تقسيمه للإحساس الجمالي إلى أجزاء، حيث يشرح كل جزء من أجزائه، وتتحكم في هذا الإحساس فالحس الجمالي مصادر النشوية في الأشياء، و بالتالي فانه يتغير بتغيرها. إن الإحساس بالجمال وتذوقه و تقديره يتأثر بعدة عوامل ومن أهمها: العامل النفسي المرتبط بحالة الفرد النفسية، فلا بد من بحث الخصائص والمؤثرات التي تؤثر في هذا الإحساس.

يرى سانتيانا أن العناصر المختلفة التي يتألف منها وعينا، يقصد على الدور الذي يلعبه كل منها في إبراز الجمال في العالم، وسنجد أنها جميعا حينها تخدم الإحساس بالجمال تكون دائما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنشاط الفكري، الذي يحيل عناصر الوعي إلى موضوعات ذات وجود خارجي.

[1] هربرت ريد. معنى الفن . تر: سامي خشبة. مطلع الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. د(ط.ت).ص13.

فسلامة وظائفه الحيوية وحالته النفسية والمزاج العام للفرد وحدة انفعاله و سلطان العادة العليا وقدرته على:" الانتباه و حيوية مخيلته و عواطفه كل هذه الأشياء تؤثر على كيفية الإحساس بالجمال. حقا لا يمكننا أن نقول هذه القوى هي الأساس الوحيد الذي تقوم عليه إحدى أفكاره أو عواطفه المعينة، وإنما نقول أنها شروط التي تحدد وجود وطبيعة أفكاره و عواطفه جميعا".[1]

لكن السؤال الآن، كيف تتم عملية الإحساس بالجمال؟ ما بنظر سانتيانا من الرضا العقلي الذي يرجع إلى الانسجام بين طبيعتنا وتجربتنا؟ فحينما تشبع حواسنا وخيالنا وحينما يشكل العالم نفسه أو يصوغ العقل، بحيث يصبح التطابق بينهما كاملا حينئذ يصبح الإدراك هو اللذة. ولا يحتاج الوجود إلى مسوغ، فحينئذ تختفي الثنائية التي هي شرط الصراع، ولا يختلف المعيار الباطني عن الحقيقة الخارجية التي تقارن به هذا الانسجام والاتحاد بين ذواتنا، والعالم الخارجي هو أسمى صور الجمال، وغاية الفنون ومنبع سعادتنا وراحتنا العقلية، وهذا ما عبر عنه سانتيانا بقوله :" فقد اكتشف أسمى جمال في الطبيعة ، وحاز الفن على أعظم انتصاراته في أكثر لحظات الإنسانية سعادة حينما اتحد العقل الإنساني و العالم تعانقا لفترة وجيزة، فعلى أرضية الجدل بين الذات والموضوع، بين طبيعتنا و تجربتنا يتكون الإحساس الجمالي" .

ان الإحساس الجمالي لم يبقى عند سانتيانا مجرد التماس مباشر ما بين الحواس والطبيعة بتنوعاتها، بل يغدو عاطفة وشعور وهزة انفعالية وعملية تواشج وتعاضد بين

[1] سانتيانا ،جورج. الإحساس بالجمال .(م.س).ص98-99.

الذات و الموضوع، مما يضمن فعالية الذات في التلقي والمعايشة الجمالية، حيث يتكئ عليها عملية التقويم وإطلاق الأحكام المعيارية. يتساءل سانتيانا هل جميع الأشياء جميلة؟

إن :" الأنماط كافة على درجة واحدة من الجمال، وحينما تتخلص من التحيز العملي لا بد لنا من القول انه بمعنى من المعاني لا يوجد شيء في جوهره قبيح، فإذا كانت الانطباعات الحسية مدعاة للألم، فمن الصعب علينا أن نحيلها إلى موضوعات، فإدراك الشيء بالحواس إذن في الظروف الطبيعية، وحيث لا تكون الحواس في إعياء يكون دائما مصدر اللذة أكثر منه للألم".[1]

ولسنا مضطرين لهذا السبب أن نقول أن جميع الفروق في الجمال والجلال مصدرها التحيز الشخصي، والميول العارضة فلو استطعنا أن نعبر عن ذواتنا، بحيث نجد الجمال في كل شيء، فحينئذ تكون قد قضيت على الذوق قضاء تاما، وكل شيء عند سانتيانا جميل. لان كل شيء قادر على أن يجذب انتباهنا ، كما يقول انه:"ادا امكن ادراك كل شيء بتنزه و تعاطف فعندئذ لا يكون ثمة شيء قبيح إلى حد ميؤوس منه".

[1] إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا.(م.س).ص121.

المبحث الثالث: أثر نظرية الجمال "جورج سانتيانا" على الفلاسفة اللاحقين

1/ الإرث الفكري والجمال لسانتيانا :

كذلك الأمر بالنسبة لجورج سانتيانا كغيره من الفلاسفة تعرضت انتاجاته الفكرية للنقد من طرف العديد من الفلاسفة و المفكرين، سواء المعاصرين له أو أولئك الذي تلو الحقبة التي برز فيها، فكان من بين أولئك "راسل" يلاحظ نتيجة تأثره به.

وتعتبر نشأة فلسفة سانتيانا في جو مفعم بالاهتمامات الميتافيزيقية وسط أعمال برادلي ورويس وفولرتون وتايلور عملا من الأعمال التي توصف بالشجاعة، خاصة إذا علمنا مدى سيطرة الفكر الفلسفي المثالي الألماني على معظم الفلاسفة هناك، حتى اندرجوا تحت المذاهب المثالية".[1]

ويرى رسل كذلك انه بالرغم من أن سانتيانا ناقش أفكارا برجماتية، وديمقراطية ومادية إلا انه ظل في أعماقه أفلاطونيا، كما ظل على اعتقاده، وحبه للحياة الارستقراطية وشارك في الإفادة من الانتصارات المذهلة للعلم إلا انه ظل جامدا، لا يحرك ساكنا أمام المذهب الكاثوليكي. بالرغم من أن سانتيانا اثر وتأثر في البحوث الفلاسفة والمفكرين والعلماء عبر مختلف العصور في مختلف القضايا و مجالات الفلسفية لكنه تجاهل على بعض الأشياء منها . وكان يمثل الموروث الفكري القديم بالدرجة الأولى في فلسفتها .

[1] بلبشير حورية. إشكالية الجمال في فلسفة جورج سانتيانا.(م.س)، ص102.

فكره مقالد عن السابق وقد كان مغرما بهم، وقد صب كل فكره في قوالب جاهزة خاصتها اليونان: السوفسطائي، وفكر أفلاطون، وأرسطو يمثل الفكر بدرجة أولى الذي صبغ فكره، ولم تكن له لمسة أو بصمة خاصة به. لم تظهر ذاتية في تحليل الأفكار كانت كلها تقليد بحث.

كل الأفكار جورج سانتيانا كانت كذلك مجرد دراسة نقدية تحليلية مثلا: هيغل وأفلاطون، كما أكد كل هذا الفيلسوف برتراند راسل أن فكر جورج كان مجرد نسخة عن فكر ليبنز لم يأتي بشيء مغير لهذا.

لقد كانت فلسفة سانتيانا تدعو الناس جميعا إلى التحرر من وهم سيطرة الأفكار القديمة، ووجد نفسه مثله في ذلك مثل أبناء جيله يواجه احد الاختيارين، المذهب الكاثوليكي، أو التحرر من الوهم (أفكار الدين).

فلم يتردد في أن يردد:" إنني لا أخاف التحرر من الوهم، وقد اخترته لنفسي". إلا أن هذا الموقف يؤخذ على«سانتيانا» فالدين ليس وهما، ولكنه حقيقة نعيش بيننا وفينا وفي كل ما حولنا، بل إنها شاركت الإنسان وجوده على الأرض منذ بدء الخليقة، فلو انه أخد بالدين لكان خيرا له بجانب هذا الكم الهائل من الفكر.

وإذا تؤملنا فلسفة سانتيانا جيدا نجد أنها توصف بأنها تماثل فلسفة لوك، أو ديكارت أو جون لاكس، أو نجدها صورة مطابقة لفلسفة أرسطو. كما أخد النزعة الأفلاطونية

عن:" أفلاطون مباشرة واهم أفكاره في محاوراته الجمهورية، وافدون، والمأدبة كما أفاد من نظريته الخاصة بعالم المثل التي يطلق عليها عالم الأرواح، والروح عند سانتيانا كالمثل عند أفلاطون، فهي صورة كل شيء سابق، وكل شيء لاحق، وأفاد سانتيانا من فلسفة أرسطو خاصة في الماهية والنفس. إلا انه من الواضح لدى الباحثين الذين تناولوا حياة سانتيانا وفلسفته، يرون انه أخد عن جيمس بعض أفكاره".[1]

كما تعرض جورج سانتيانا للنقد في بعض جوانبه، كذلك الأمر بالنسبة لتأثيره وتأثره في العديد من المفكرين و الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، حيث كان لفلسفته بصمة تظهر بشكل مباشر هذه الاتجاهات.

لنقف قليلا أمام تأثر سانتيانا بالفلسفة الألمانية، خاصة خلال الفترة قضاها في ألمانيا فيذكر أن الفلاسفة المثاليين الألمان أخفقوا في عرض أفكارهم عن الكون بدرجة كبيرة و يقول في مناجاته:" لقد شغل الفلاسفة المثاليون في ألمانيا بتفصيل وإيضاح نظرية المعرفة أكثر مما يجب، فضلا عن انه استبدلوا هراء الميتافيزيقيا وما تثيره من خداع بالخبرة الإنسانية".

بعد أن درس سانتيانا فلسفة كانط انتقده، لأنه يضع الواقع داخل مقولات مما جعل للعقل في كل موقف من مواقفه المتعددة قاعدة واحدة لا يتعداها، فضلا عن قراءة كل من

[1] معلم نورة. الجمال والفن عند جورج سانتيانا. ماستر. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة بسكرة. 2019. منشورة. ص80.

كانط وسانتيانا لفلسفة وتعاليم الفيلسوف الهندي "بوذا". وساعد كتاب هيغل "فينومومينولوجيا الروح" سانتيانا على وضع مخطوط كتابه "حياة العقل"، الذي اشرنا إليه وأعجب سانتيانا بما كتبه هيغل في المنطق، وخاصة ما ذكره عن الروح التاريخية النقدية وليس الجزء الخاص بالجدل.

ولا يخفى على من درسوا فلسفة سانتيانا تأثير "هنري برجسون" وهو احد الفلاسفة الذين التقى بهم سانتيانا شخصيا، فاوجد الحوار بينهما والتواصل الفكري بعض التشابه فيما كتبه سانتيانا عن صيرورة المادة في تقابلهما مع الروح، وفضل سانتيانا مبدأ الصيرورة أو مبدأ تدفق المادة على مبدأ الحدس، لأن الصيرورة في نظر سانتيانا، الذي يمكنه إدراك ماهيات الاشياء، كما أعجب سانتيانا بوظيفة الخيال التي تعد الإنسان باحتياجاته لاستخدامها في مجال الواقع.

وبعد أن تقدم سانتيانا بفكره وفلسفته عن فكرة التطور الخالق لدى "برجسون" نوعا من الخيال الشعري. كان لصدور كتاب "مقالات في الواقعية النقدية" يتضافر جهود مجموعة من الفلاسفة الأمريكيين أثره البارز في انخراط سانتيانا تحت لواء الواقعية النقدية، والتحق صديقه سترونج بالاتجاه الجديد حتى يكونا من مؤسسيه، وقد صدر كتاب الواقعية الجديدة على يد مجموعة أخرى من الفلاسفة عام 1912 . في الولايات المتحدة باشتراك دهولت فكان للأفكار التي تضمنها أثره الذي لا ينكر في نظرية المعرفة عند سانتيانا.

إن فلسفة سانتيانا تناولت نظريات فلسفية متباينة ،منها نظريته في قيمة الجمال.إحدى القيم الثلاث(الحق والخير والجمال).

2/ فلسفة القيمة الجمالية:

قبل أن نخوض في الحديث عن الجمال يجدر بنا أن نعرف ما هو الجمال؟ أو ما هي فلسفة الجمال؟ وفي محاولتنا الإجابة لهذا السؤال نجد الكثير من التعريفات عند مختلف المفكرين وفي مختلف العصور و الأمكنة، إذ رأى البعض أن الجمال هو الحق أو المثال الأعلى أو الكمال، وجميع التعريفات التي طرحت لتفسير الجمال تكاد لا تمثل أكثر من وجهات نظر مختلفة في فهم الجمال، لهذا فإن تقديم تعريف جامع لفلسفة الجمال ما يزال يمثل تحديا للفلاسفة و العلماء منذ أيام سقراط وأفلاطون إلى يومنا هذا.

في محاولة سانتيانا الإجابة عن هذا السؤال نجده ينطلق من الأسماء التي أطلقت على فلسفة الجمال في الماضي فبرأيه تستطيع إعطاءنا فكرة عن الكيفية التي نبدأ بها هذا التعريف .

لقد أطلق على كثير من الكتاب في القرن الماضي اسم النقد على فلسفة الجمال، بل لا يزال هذا الاسم يستخدم الآن لوصف التقدير للأعمال الفنية، تقديرا تؤيده الحجة العقلية فلفظ النقد يضيقون من مجال فلسفة الجمال، عندما يقصروها في مجال النقد الفني، إلا إننا لن نستطيع مثلا أن نصف نشوتنا بالطبيعة، بأنها نقد فنحن لا ننقد غروب الشمس وإنما نحسه ونستمتع به[1].

[1] سانتيانا جورج: الاحساس بالجمال (م س) ، ص 52

وإذا استخدمنا لفظة النقد في هذا المجال فإننا بذلك نؤكد أكثر مما ينبغي عنصر حكم الواعي و المقارنة بالمعايير، ولكن الجمال لا يدرك عادة على هذا النحو و إن كان يوصف في هذه الحدود غالبا، فنحن لا نبدي إعجابنا بما هو بديع في الطبيعة والفن نتيجة تطبيق قاعدة معينة، وإنما هو العكس فهذه الموضوعات الرائعة هي التي تعطينا معيارا أو مثلا يقيس به النقاد الأعمال الدنيا.

كان هناك العديد من الفلاسفة في عصر العلم وعصر المصطلحات لفظة الاستطيقا (علم الجمال)، ومعناها نظرية الإدراك الحسي أو التأثيرية بحيث تشمل كل إدراك حسي هو بالضرورة إدراك للجمال، وقد استخدم كانط لفظ الاستطيقا ليدل بها على نظريته في الزمان و المكان بوصفها صورتي الإدراك بأسره.

لكننا إذا جمعنا بين معنى لفظ النقد، ومعنى لفظ الاستطيقا فإننا بذلك نكون قد جمعنا صفتين جوهريتين من صفات نظرية الجمال، فالنقد يتضمن الحكم في حين تتضمن الاستطيقا الإدراك الحسي، ولكي نحصل على المجال المشترك بين الاثنان يلزمنا أن نوسع من تصورنا للنقد الواعي، لكي يشمل تلك الأحكام القيمة التي هي غريزية ومباشرة، بحيث تشمل شتى حالات اللذة و الألم و في نفس الوقت يتحتم علينا أن نضيق من تصورنا للاستطيقا، بحيث تستبعد منها كل إدراك ليس تذوقا ولا تقديرا و لا يجد قيمة في موضوعه .[1]

[1] سانتيانا جورج :الاحساس بالجمال، ص53.

وينتهي سانتيانا إلى أن طبيعة الجمال قائمة في الإدراك الحسي الذي يصاحبه حكم نقدي، والذي هو إدراك للقيم لذلك فإننا نرى أن سانتيانا أول من وضع المعادلة الآتية التي تتعلق بالقيم: إدراك حسي +حكم نقدي = إدراك للقيم.

والسؤال الآن كيف ندرك الشيء إدراكا جماليا عند سانتيانا؟ هو قيمة و ليس إدراكا لواقع معين أو لعلاقة بذاتها، هو إحساس إيجابي لأنه منصب على الشيء الحسن المائل أمام الشخص المدرك، وليس هو كالحكم الخلقي الذي لا ينشا إلا عن طريق إدراكنا لجوانب النقص لننفيها .

هو مباشر لأنه لا يراد به أن يكون وسيلة لمنفعة آجلة، والمباشرة بمعناها اللغوي الحرفي المقصود هنا أي أن لمس بشرة الذات المدركة لبشرة الشيء المدرك أن يتلامس الشخص والشيء وأن يكون على صلة في لحظة الإدراك ذاتها .

إخراج للنشوة الذاتية إخراجا يدمجها في عناصر الشيء، وكأنها جزء من طبيعته وعندئذ ينظر الرائي إلى الشيء الجميل، فيحسب أن النشوة والمتعة واللذة منبثقة من الشيء ذاته وصادرة عنه لا من نفسه. ولنا أن نسأل الآن كيف يحدث هذا كله؟ يتمثل الرائي في ذهنه صورة مثال للشيء الذي يصوره الأثر الفني المشاهد ثم يدرك هذا الشيء الجزئي المائل أمامه تحت الصورة المثلى من جهة، وبين الصورة العقلية من جهة أخرى مثال: إذا وجدت صورة القائد الماثلة أمامك قريبة من مثلك الأعلى الذي تصورته بعقلك

كانت الصورة عندك محققة لشرط الجمال الفني، إذن فإن سانتيانا يرى أن من شروط الجمال الفني التطابق بين المثل العقلي و المشهد الجمالي.

إن أول ما يتطرق في ذهن الإنسان العادي عندما نذكر كلمة قيمة، أو القول بأن شيء قيم، أو ذو قيمة هو أن هذا الإنسان يفضل هذا الشيء بمعنى يرغب فيه أو يحبه أو انه يلبي حاجة له، فعندما يقال هذا المتاع ذو قيمة فإنه يعني أنني ارغب فيه أو احتاج إليه، وإذا قيل هذا أقيم فإن هذا معناه أن هذا الشيء بالنسبة لي يعتبر مفضلا عن ذلك[1].

المعنى اللغوي للقيمة: ما استقام به، وقوام الجسم تمامه وقوام الشيء عماده التقويم عملية التفضيل و الترجيح و الشيء الراجح في اللغة العربية هو الوازن و التفضل بين القوم هو ان يكون بعضهم افضل من بعض[2].

المعنى الفلسفي للقيمة: ترجع فلسفة القيم أو علم القيم أو نظرية القيم إلى الكلمة اليونانية(axios) والتي تدل على ما هو قيم أو ثمين أو جديد، والاكسيولوجيا هو العلم الذي يبحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها، وهي باب من أبواب الفلسفة العامة ترتبط بالمنطق وعلم الأخلاق و فلسفة الجمال والإلهيات [3].

[1] الصباغ.رمضان الاحكام التقويمية في الجمال والاخلاق ص35.
[2] ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، مج11، دار أحياء التراث العربي بيروت، 1956، ص361
[3] صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ص214.

وتسمى الفلسفة المتصلة بها فلسفة القيم، وهي البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب لذاته، وهي تنظر في قيم الأشياء وتحللها و تبين أنواعها و أصولها[1].

وقيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه عند شخص واحد أو عند طائفة معينة من الأشخاص، مثال ذلك قولنا:" إن للنسب عند الإشراف قيمة عالية، فالقيمة بهذا المعنى الذاتي صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، طبقا لاختلاف الأشخاص والظروف، وبالتالي فهي تختلف باختلاف من يصدر الحكم[2].

أما من وجهة نظر موضوعية، يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير بذاته، كالحق، والخير، والجمال. سواء كانت قيمته مطلقة وان كانت مستحقا للتقدير من اجل غرض معين كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية، كانت قيمته إضافية.

وبمعنى هذا فان القيمة بالمعنى الموضوعي صفة كامنة في طبيعة الأشياء ومادامت كامنة فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأشخاص.

[1] العوا عادل:العمدة في فلسفة القيم،دار طلاس،دمشق،ط1986،1ص41.

[2] صليبا جميل :المعجم الفلسفي ، (م س) ، ص214.

خـــاتمة

وفي الأخير وبعد عرضنا لفلسفة جورج سانتيانا الجمالية سنتطرق لأهم الملاحظات التي تناولها البحث و نوجزها فيما يلي:

إن فلسفة سانتيانا الجمالية تعتبر فلسفة عالمية شمولية، فهي تحمل إبداعات العالم ومسارات عمله، لذلك كانت مصادر فلسفته الجمالية من منابع شتى ومختلفة، فقد أخد أفكاره المادية عن ديمقريطس ونظريته في المثل عن أفلاطون، وجمع بين اللذة والجمال من ابيقور وبين اللعب والجمال عن شيللر. إلا أن سانتيانا استطاع أن يمزج المصادر الثلاثة بطريقة مبتكرة الفلسفة الواقعية، المادية، والمثالية الروحانية .

فالبرغم من أن جورج سانتيانا فيلسوف مادي، إلا أن ماديته ليست خالصة، فهو واقعي نقدي لكن واقعيته كانت مشوبة في بعض الأحيان بنزعته المثالية التي استمدها من أفلاطون.

فلسفة سانتيانا جاءت نتاجا لمحاولته في الجمع بين مثالية أفلاطون وواقعية أرسطو حيث تندرج معاني الجمال عند جورج سانتيانا في أفكاره التالية:

إن الجمال قيمة وليس إدراكا لواقع معين أو علاقة. كما أن الجمال عند سانتيانا قيمة إيجابية أي إحساس إيجابي ينصب على الشيء الواقع أمامنا، وان الجمال بادراك مباشر ولا يهدف إلى وسيلة أو غاية خارجة عن ذاته .

وبناءا على هذه الأسس فسانتيانا يحصر مجال الجمال بالقيم الإيجابية، ويرفض فتح المجال أمام القيم السلبية، فسانتيانا يستبعد فكرة القبح من دائرة علم الجمال. كما أن سانتيانا يستبعد القيم السلبية من الجمال، نتيجة ربط مفهوم الجمال باللذة. وذلك يؤدي إلى عدم فهم طبيعة الجمالية فإن غياب القيم السلبية هو غياب النصف الأخر للحياة، فليس كل ما في الحياة جوانب إيجابية بل يتعاون السلب مع الإيجاب، لتشكيل الحياة العقلية والروحية.

تأرجح سانتيانا في إثبات العلاقة بين الجمال والأخلاق، فنجده ينفيها في البداية وذلك باعتبار أن الجمال قيمته في ذاته ولا يسعى إلى شيء خارج عنه. في حين أن الأخلاق تسعى إلى غاية خارج ذاتها، ويؤكد على الفن له صلة وثيقة بالحياة.

فتركيز سانتيانا على الربط بين الجمال والأخلاق، يفوق تركيزه على انفصالهما بدليل طرحه أدلة وأمثلة متعددة، وهذا نستطيع بتأرجح موقفه العام بين إحساسه الشاعري، وفكره الواقعي بين وجدانه وعقله. والذي أدى بسانتيانا إلى تغيير من أرائه والكثير من قناعاته .

إن فلسفة جورج سانتيانا الجمالية فلسفة بدأت طبيعية تطورية، وفي خاتمة المطاف مثالية روحية. فما وصل إليه سانتيانا يبدو مختلفا ومتعارضا مع بدايات فلسفته الجمالية، فقد بدا بالإحساس وانتهى إلى المثل الأعلى. بدا الجمال الحسي بالمادة وانتهى إلى الجمال الصوري، المعبر عن المثل الأعلى فسانتيانا يدفعنا إلى عالم الخيال الأجمل على الرغم من عدم وجوده في مادة الطبيعة .

حصر سانتيانا مقومات الجمال في ثلاث عناصر: المادة، الصورة، والتعبير والعنصر الأول من هذه يشير إلى اللذات الحسية، التي توفرها لنا الحواس المختلفة مع ملاحظة اختلاف كل منها في درجة و نوع اللذة، بينما لذات البصر هي اقوي اللذات وأشدها تأثيرا، بدليل أن فكرة الجمال قد نشأت لدى الإنسان عن بعض المعطيات البصرية فضلا عن ارتباط الخبرة الجمالية بالإدراك الحسي، مما يجعل كلمة شكل أو صورة تكاد تصبح مرادفة لكلمة جمال. واللون اقدر عناصر الموضوع على إثارة إعجابنا، وتولد اللذة في نفوسنا وإعجاب سانتيانا باليونان قد أملي عليه اعتبار اللذة عنصرا مهما من عناصر الظاهرة الجمالية. مما جعله يعتبر الجمال قيمة خالصة إيجابية.

إن الجمال هو الضمان على إمكان الاتساق والألفة بين الروح والطبيعة، ومن ثم فهو أساس الإيمان بسيادة الخير.

قائمة المصادر

والمراجع

1/ قائمة المصادر:

1/ سانتيانا جورج. الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال. ترجمة: محمد مصطفى بدوي. مراجعة زكي نجيب محمود، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة،2001.

2/ سانتيانا جورج. الإحساس بالجمال. ترجمة: محمد مصطفى بدوي. دار الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.(د.ط). .2002

2/ المراجع اللغة العربية:

1/ إبراهيم زكريا .فلسفة الفن في الفكر المعاصر. دار مصر للطباعة. القاهرة. (د.ط). 1988

2/ إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. رسالة الماجستير. قسم الدراسات الفلسفية. جامعة دمشق. الجمهورية العربية السورية.(د.ط). .2017

3/ حسام زكارنة هديل.مدخل في علم الجمال.المهد الدبلوماسي الأردني. الأردن. (د.ط). 1993

4/ حلمي مطر أميرة. مدخل إلى علم الجمال و الفن. دار التنوير للطباعة والنشر. ط2013.1

5/ الخطيب محمد. الفكر الإغريقي. منشورات دار علاء الدين. دمشق. ط1999.1

6/ ريد هربرت. معنى الفن. تر: سامي خشبة - مر مصطفى حبيب. مطالع الهيئة المصرية العامة للكتاب. د(ط.ت).

زكريا ،فؤاد:التعبير الموسيقي،مكتبة مصر،القاهرة،د(ط ت) ،ص31.

7/ الصباغ رمضان.الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق. دار الوفاء للطباعة وللنشر. الاسكندرية. ط 1.1988

8/ الطويل توفيق:مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط 1.1953

9/ عبده مصطفى.مدخل الى فلسفة الجمال النشر مكتبة مدولي القاهرة د ط ت.

10/ العوا عادل. العمدة في فلسفة القيم. دار طلاس. دمشق. ط1.1986

11/ قرني عزت. الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون. جامعة الكويت.(د.ط). 1993

12/ كويلستون فردريك. تاريخ الفلسفة.تر:امام عبد الفتاح.المجلس الأعلى للثقافة.(د.ط).2002

13/ كريسون.لاندريه المشكلة الاخلاقية والفلاسفة تر.عبد الحليم محمود وآخرون.دار الشعب القاهرة .دط.1979.

14/ لالو شارل. الفن و الحياة الاجتماعية. تر عادل العوا. دار الأنوار . بيروت. ط1، 1977.

15/ محمود زكي نجيب. حياة الفكر في العالم الجديد. دار الشروق . القاهرة. ط2.1982

16/ ميلر،سوزانا :سيكولوجية اللعب، تر: حسن عيسى، مر: محمد عماد الدين. إسماعيل، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1987،ص15.

17/ نوكس إ. النظريات الجمالية(كانط، هيغل، شوبنهاور). تر: محمد شفيق شيا. منشورات بحسون الثقافية. بيروت . ط1.1985

18/ وديعة بنت عبد الله احمد بوكر. علاقة الحدس في علم الجمال بعلم نفس الفن وتأثيره على عملية النقد التذوق الفني. مجلة بحوث التربية النوعية. العدد26. دار المنظومة جامعة المنصورة.2012

3/ الرسائل الجامعية :

1/ إبراهيم سليمان الحسن. فلسفة الجمال عند جورج سانتيانا. رسالة الماجستير. قسم الدراسات الفلسفية. جامعة دمشق. الجمهورية العربية السورية.(د.ط). 2017.

2/بلبشير حورية:إشكالية الجمال في فلسفة جورج سانتيانا.رسالة الماجستير.قسم الفلسفة.كلية العلوم الاجتماعية. جامعة وهران 2018.

4/ المعاجم و الموسوعات:

1/ ابن منظور.لبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:لسان العرب،مج11،دار أحياء التراث العربي،بيروت،1956،ص361.

2/ جميل صليبا. المعجم الفلسفي. ج1. دار الكتاب اللبناني. لبنان.1982

3/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي.ج2. دار الكتاب اللبناني. لبنان ،ط1.1979

4/ عبد الرحمن بدوي. ملحق موسوعة الفلسفة .المؤسسة العربية للدراسات والنشر. دار الفارس للنشر والتوزيع .عمان. ط2.1996.

5/ مغنية محمد جواد. مذاهب فلسفية و قاموس مصطلحات. دار ومكتبة الهلال . لبنان. د(ط.ت).

العناوين	الصفحة
مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول : المرجعية الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا الجمالية.	
المبحث الأول: تعريف ونشأة علم الجمال	07
1/ التعريف بعلم الجمال	07
2/ مفهوم علم الجمال	10
المبحث الثاني: المصادر الفكرية لفلسفة جورج سانتيانا	16
1/ مفهوم المادة عند ديمقريطس	16
2/ نظرية المثل عند أفلاطون	21
3/ مفهوم اللذة والألم عند ابيقور	28
4/ مفهوم اللعب عند شيللر	34
المبحث الثالث : العلاقة بين الحدس والعقل	40
1/ مفهوم الحدس لغة و اصطلاحا	40
2/ الحدس في علم الجمال: ماهيته- فلسفته	43
3/ مفهوم العقل لغة و اصطلاحا	44
الفصل الثاني : فلسفة الجمال و طبيعته عند سانتيانا.	
المبحث الأول: السيرة الذاتية لجورج سانتيانا	48
1/ شخصية جورج سانتيانا	48
2/ فلسفة جورج سانتيانا	50
المبحث الثاني: معنى الجمال وطبيعته عند سانتيانا	53
1/ معنى الجمال عند جورج سانتيانا	53
2/ العلاقة بين القيم الجمالية والأخلاقية	55
3- طبيعة الإحساس الجمالي وماهية العلاقة بين الموضوع الجميل واحساسنا به	61
المبحث الثالث : أثر نظرية الجمال لجورج سانتيانا على الفلاسفة اللاحقين	65
1/ الإرث الفكري والجمالي لسانتيانا	65
2/ فلسفة القيمة الجمالية	69
خاتمة	75
قائمة المصادر والمراجع	79

الملخص:

إن إدراك الأشياء في نظر الفيلسوف «جورج سانتيانا» تكون على حالتين، الأولى أن يعرف الإنسان الأشياء من حيث هي استجابة والثانية من حيث إدراكها حسيا وذلك لما يلتقط فيها من قيم جمالية وأخلاقية، ففي نظر «جورج سانتيانا» ادارك الجمال لقيمة لا إدراك لواقع، فالجمال لذة وتلك اللذة متجسدة في صميم الموضوع، فهو يميز بين الشعور والجمال في الطبيعة وذلك من خلال الاستمتاع به والتعبير عنه.

كلمات مفتاحية: القيم ،الجمال ،اللذة.

abstract:

The perception of things in the view of the philosopher is in two cases: the first is that a person "George Santayana" knows things in terms of response, and the second in terms of sensual perception, and that is because of the values aesthetic and moral he picks up in them pleasure and that pleasure is embodied In the heart of the matter it distinguishes between feeling and beauty in nature through enjoying and expressing it.

Key word :the value the nature the beauty.